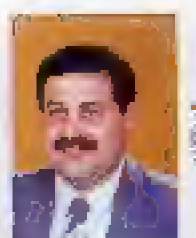


روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
142
رجل وجيش
www.liilas.com/vb3
^RAYAHEEN^
المؤسسة العربية الحديثة



د. نبيل فاروق

رجل وحش

• كيف يمكن أن يواجه (أدهم) جيشًا كاملاً في صحراء (المكسيك) ؟!

• هل يمكن أن تنجح منظمة (X) في خطتها الشيطانية، للسيطرة على منظمة (المافيا) ؟!

• ترى من ينتصر في تلك الحرب الرهيبة المشتعلة، بين (رجل وحش) ؟!

• اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل)..

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

142



(الأول)

رجل المستحيل

(أدهم صبري).. ضابط مخابرات مصري، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعني أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعني أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبري) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حية، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبري) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبري) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- القتلة ..

أشارت عقارب الساعة إلى منتصف الليل في (القاهرة)، وخلت الشوارع من المارة أو كادت، في المنطقة المحيطة بمبنى المخابرات العامة، في (كوبري القبة)، وهدأت الأمور على نحو واضح في المكان، حتى صار من الطبيعي أن يسمع المرء في وضوح وقع أقدام أي مخلوق، يعبر الشارع في تلك الساعة ..

ولكن الأمر داخل مبنى المخابرات، الذي يبدو غارقًا في صمت وسكون خارجيين، كان يختلف تمام الاختلاف من الداخل ..

فهناك، في حجرة الاجتماعات الصغيرة، الملحقة بمكتب المدير، كانت هناك شعلة متقدة من النشاط والحركة، مع من تموج بهم الحجرة، من المدير

ومعاونيه ، وعدد من كبار الخبراء ، والكل يعكف
على دراسة خريطة كبيرة لصحراء (المكسيك) ،
فى محاولة مستميتة لتحليل آخر المعلومات ، التى
وردت من هناك ، حول مصير (أدهم صبرى) ..

فمنذ أقل من يوم واحد ، غادر (أدهم) (موسكو) ،
فى طائرة خاصة ، تابعة للمخابرات الروسية ، بعد
أن قضى مع فريقه على زعيم منظمات (المافيا)
الروسية هناك ، فى طريقه إلى (نيويورك) ، سعيًا
وراء استعادة زميلته السابقة (جيهان) ، التى
اختطفتها منظمة (X) للجاسوسية ، من مستشفى
دونا (كارولينا) ، زعيمة عائلات منظمة (المافيا)
الأصلية ، فى الولايات المتحدة الأمريكية كلها .. وكان
(أدهم) يعلم أنه فخ واضح ؛ لاستدراجه إلى هناك ..

ولكنه لم يتردد فى الذهاب ..

كانوا يتحدونه ..

وقبل هو التحدى ..

ولكن منظمة (X) كانت تعد له مصيرًا آخر ..

فمع سيطرتهم على مساعد الطيار ، فى الطائرة
الروسية ، أمكنهم إجباره على الانحراف بمسار
الطائرة ، لكى تتجه إلى (المكسيك) بدلًا من
الولايات المتحدة الأمريكية ..

وبخبرته فى الطيران ، أدرك (أدهم) ما يحدث ..

وحاول منع حدوثه ..

ولكن الطائرة كانت قد تجاوزت الساحل الشرقى
الأمريكى بالفعل ، وعبرت خليج (المكسيك) ،
واتجهت نحوها بالفعل ..

وبعد محاولة عنيفة ، نجح (أدهم) فى اقتحام
كابينة قيادة الطائرة ، ولكن مساعد الطيار الروسى
أطلق مسدس الإشارة داخلها ، و ...

واشتعلت الطائرة ..

وعلى ارتفاع منخفض ، عبرت الطائرة الروسية
المشتعلة ساحل (المكسيك) ، وانطلقت عبر الصحراء
الشاسعة ، قبل أن تهوى على الرمال فى عنف ..

وعلى الرغم من بشاعة الحادث ، نجا (أدهم) مع المضيفة الروسية الحسناء (جوليا) ، فى حين لقى باقى الطاقم كله مصرعه ..

نجيا ليواجها الموت على نحو أكثر بشاعة ..

فى قلب الصحراء ..

وفى الوقت الذى راحت فيه المخابرات المصرية تبذل قصارى جهدها ، فى محاولة لمعرفة مصير رجلها الأول ، والذى راحت دونا (كارولينا) تقاتل فيه ، للحفاظ على موقعها وكيانها ، كان (أدهم) وتلك المضيفة الروسية يواجهان الموت ، المتمثل فى طائرة صغيرة ، مزودة بمدفع آلى ، أطلقها خلفهما الجنرال (ألتزو) ، جنرال الجيش المكسيكى السابق ، الذى استأجرته منظمة (X) ، لسحق (أدهم) فوق رمال (المكسيك) ..

وبمهارة مدهشة ، نجح (أدهم) فى إسقاط تلك الطائرة ..

ولكن هذا كان مجرد بداية ..

فوسط صحراء شاسعة ، تمتد إلى مدى البصر ، فى كل الاتجاهات ، انطلق جيش الجنرال (ألتزو) ، مع هدف واحد ..

أن يسحق (أدهم) ..

وبأى ثمن ..

وكانت مواجهة عنيفة ، مخيفة ، رهيبة ، مستحيلة ..

مواجهة فى قلب الصحراء ، بين رجل ..

وجيش(*) ..

ولم يكن رجال المخابرات المصرية يدركون كل هذا ..

آخر ما وصلهم من معلومات ، هو أن طائرة (أدهم) قد سقطت فى صحراء (المكسيك) ..

مشتعلة ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (رمال ودماء) .. المغامرة رقم ١٤٦

وكان هذا الخبر رهيبًا بالنسبة لهم ويقلب كل الأمور رأسًا على عقب تمامًا ..

وفي توتر مرير ، قال أحد معاوني المدير :

- يا إلهي ! كل ما بذلناه إذن كان دون فائدة .

التفت إليه المدير في صرامة ، قائلاً :

- لا تقل هذا .

غمغم الرجل في ارتباك :

- ولكن المعلومة واضحة مؤكدة يا سيدي .. لقد سقطت الطائرة مشتعلة ، في قلب صحراء (المكسيك) !

انعقد حاجبا المدير في صرامة متوترة ، وهو يقول :

- هذا لا يعني شيئًا .

ردَّد الرجل في دهشة بالغة :

- لا يعني شيئًا ؟!

أجابه المدير بنفس الصرامة :

- بالتأكيد .. الكثير من حوادث الطيران تترك خلفها أحياء ، ناهيك عن أننا نتحدث عن (ن - ١) ، وليس عن أي رجل عادي .

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يسأل أحدهم :

- بم تأمر يا سيادة المدير .

أجابه المدير في حزم :

- سنواصل كل شيء ، باعتبار أن (ن - ١) مازال على قيد الحياة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في قوة :

- وإنه يحتاج إلى أية مساعدة ، يمكننا أن نقدمها إليه .

أشار خبير الطيران بيده ، قائلاً :

- أنا أؤيد هذا الرأي .

قال المدير في حسم :

- وهذا هو الاتجاه ، الذي سنعمل فيه جميعًا ..

فريق منا سيبدأ فى جمع كل المعلومات الممكنة ، فى حين سيعمل فريق آخر على الاتصال برجالنا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لتنسيق العمل بيننا وبينهم ، وتكبير عملية إرسال فرقة إنقاذ عاجلة ، إلى (ن - ١) .

قال كبير معاونيه فى اهتمام :

- ولكننا لم نحدد موقع سيادة العميد (أدهم) بدقة بعد يا سيدى .

أجابه المدير فى حزم :

- هذه مهمة الفريق الثالث .

ثم استدار إليه ، مستطردًا :

- لحين .

نطقها بمنتهى الحزم والحسم ، فعاد النشاط الجم إلى المكان فى لحظات ، فى حين تضاعف انعقاد حاجبيه هو ، وأعماقه تلتهب بسؤال مخيف ، لم يستطع حتى احتمال إجابته سلبيًا ..

ترى هل نجا (أدهم) من تلك الميتة البشعة فى صحراء (المكسيك) ؟! هل ؟!

* * *

تألقت عينا الجنرال (ألتزو) ، وهو يفتل شاربه الضخم ، مع ابتسامة كبيرة على شفتيه ، وعيناه تتابعان طائرة (لورا كيلرمان) الخاصة ، التى هبطت فى ذلك الممر الخاص ، الذى صنعه رجال ، أمام قلعته مباشرة ، فى قلب صحراء (المكسيك) الشاسعة ، ولم يكد يراها تغادر الطائرة ، حتى هتف فى حماسة :

- ها نحن أولاء نلتقى مرة ثانية ، يا جميلة الجميلات .

قاومت بشدة ذلك الشعور بالاشمئزاز فى أعماقها ، وهى ترسم على شفتيها ابتسامة ، قائلة :

- مقابلة الرجل من أمثالك لها دومًا معنى خاص يا جنرال .

انطلقت من حلقه ضحكة عالية مقيتة ، وهو يلتقط يدها ، ليعاونها على هبوط سلم الطائرة ، قائلاً :

- كلمات رائعة ، من امرأة فاتنة ..

سرت في جسدها قشعريرة باردة ، مع لمسة أصابعه ، ولكنها قاومتها أيضًا ، وهي تسحب يدها في رفق ، متسائلة :

- هل تأكدتم من مصرع رجل المخابرات المصري ؟!

انعقد حاجباه الكثان في حزم ، وهو يقول :

- إنه لم يلق مصرعه بعد .

توقفت هاتفة :

- ماذا ؟!

أجابها في سرعة :

- إنها مسألة وقت فحسب .

قالت في حدة ، وهي تتجه نحو القلعة ، بخطوات واسعة سريعة :

- لو أنك قرأت ملف ذلك المصري ، لأدركت أن القبور تمتلئ بالعشرات ، الذين أطلقوا يومًا العبارة ذاتها ، ولكنهم لقوا مصرعهم ، وبصمته على رءوسهم .

قال في صرامة ، وهو يحث الخطى للحاق بها :

- هذا لن يحدث هنا .

لوحت بكفها ، قائلة :

- كلهم أيضًا تصوروا هذا .

أفسح الجنود لهما الطريق ، وهما يعبران إلى ساحة القلعة ، مع قوله المتسلط :

- الأمور تختلف هنا كثيرًا .

توقفت بغتة ، والتفتت إليه ، تسأله في حدة :

- وفيم تختلف ؟!

لوح بيده ، في حركة مسرحية ، وهو يجيب :

- في كل شيء .

وشدَّ قامته ، وهو يفتل شاربه الضخم مرة أخرى ، متابعًا :

- لو راجعت خريطة (المكسيك) ، لوجدت أن هذا الجزء من صحرائها يختلف تمام الاختلاف ، عن كل الأجزاء الأخرى .. فهنا الصحراء تمتد لعشرات الكيلومترات ، دون مرتفع واحد .. صحراء نصف جبلية ونصف رملية ، لا يمكنك أن تجدى فيها صخرة واحدة ، يمكن الاختفاء خلفها ، كما لا توجد بها ينابيع أو آبار ، يرتوى منها الشارد أو التائه .. ولقد سقطت الطائرة الروسية هنا ، فى هذه المنطقة ، التى تقع كلها تحت سيطرتى .. ولقد أرسلنا طائرة استطلاع ، أكدت أنه لم ينج من الحادث سوى رجل المخابرات المصرى ، وفتاة من الطاقم .

سألته فى حذر :

- ومن أدراك أنه ذلك الذى نجا ؟!

مال نحوها ، قائلاً فى حزم :

- لقد أسقط الطائرة .

اتسعت عينا (نورا) لحظة ، قبل أن ترفع أحد حاجبيها وتخفضه ، ثم تلتقط سيجارة من علبتها ، وتدسُّها بين شفتيها الجميلتين ، مغمغمة فى انفعال :

- إنه هو .

أسرع يشعل سيجارتها ، قائلاً :

- (رودريجز) أيضًا أكد هذا .

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تردد فى حذر :

- (رودريجز) ؟!

أجابها فى سرعة :

- الكولونيل (رودريجز) .. مساعدى وأركان حربى .. لقد كان أحد أبرز الضباط فى جيشى ، ثم ..

قاطعته فى ضجر :

- أهذا كل ما فعلتموه ؟! تأكدتم من هويته فحسب .

ابتسم ، مجيبًا :

- إنه لن يذهب بعيدًا ، فالصحراء كما أخبرتك ،

تمتد من حوله إلى مدى البصر ، فى كل الاتجاهات ،
وليس هناك مكان واحد ، يمكن أن يذهب إليه ،
ليختفى من جيشنا ، الذى أرسلناه خلفه .

ردت فى اهتمام :

- جيشكم ؟!

أشار بذراعه إلى ما حوله ، قائلاً فى زهو :

- نعم .. جزء من ذلك الذى ترينه حولك ..

أدارت عينيها فيما حولها ، وهى تنفث دخان
سيجارتها فى قوة ، قبل أن تسأله :

- أتعشم أن تكون قد أرسلت عدداً كافياً .

أومأ برأسه إيجاباً ، وقال محاولاً التأثير عليها :

- خمسين رجلاً ، وثلاث سيارات (جيب) مسلحة ،
ودبابة ، مع مدفع ميدان ، وكل هذا بقيادة الكولونيل
(رودريجز) شخصياً .

ثم مال نحوها ، متابعاً بابتسامة كبيرة مقيتة :

- هل تعتقدين أن فارسك المصرى ، يمكن أن ينجو
من كل هذا ؟!

بدا التردد على وجهها ، فاعتدل ، قائلاً فى غضب :

- إنها معادلة بسيطة واضحة يا سيدتى الجميلة ..
رجل أمام جيش كامل ، وسط صحراء منبسطة إلى
مدى البصر .

واستعاد ابتسامته ، وهو يضيف :

- ما النتيجة فى رأيك .

تطلعت إلى عينيه مباشرة ، ونفثت دخان سيجارتها
فى وجهه ، وهى تبتسم ابتسامة ساحرة فاتنة ، مجيبة :

- كارثة .

وخفق قلبه فى منتهى العنف ، وهو يلهث فى
أعماقه ، أمام جمالها الساحر ، هاتفاً بكل حماسة
وانفعال الدنيا :

- بالتأكيد يا جميلتى .. بالتأكيد ..

لم يدر لحظتها كم كانت بجانبها صادقة

فالنتيجة الحتمية، لمواجهة كهذه، بين رجل وجيش، هي كارثة..

كارثة بكل المقاييس..

* * *

لم يكد (رودريجز) يقترب بجيشه، من حطام الطائرة المروحية، المنتشر على مساحة مائتي متر، حتى أشار بيده، هاتفًا في صرامة

- انتشروا.

مع أمره البسيط المقتضب، تحرك الرجال بمهارة حقيقية، وحنكة تشف عن تدريب جيد رفيع، إذ توقفت الدبابة مع السيارة (الجيب)، التي يركبها (رودريجز)، وفصلت (الجيب) الثانية مدفع الميدان الذي تجره، لينضم إلى الدبابة وسيارة (رودريجز)، قبل أن تنطلق مع (الجيب) الثالثة، لتدوران حول الحطام من الجانبين، في حين تحول الجنود الخمسون بعيونهم،

إلى دائرة واسعة، أحاطت بالحطام، على أصابع انتظاره..

وعبر جهاز الاتصال اللاسلكي، هتف (رودريجز):

- هل يلمح أحدكم الرجل والمرأة؟!

أتاه الجواب من كل القادة الفرعيين سلبيًا، على الرغم من ملاحظتهم للحطام المنتشر، وعلاقة السؤال بالمصمم، فانعقد حاجباه في شدة، وهو يقول، عبر جهاز الاتصال المحدود:

- مستحيل! لا يمكن أن يكونا قد ابتعدا

ثم ألقى جهاز الاتصال، والتقط مكبرًا صوتيًا، صاح عبره في صرامة:

- سيد (آدم)... نحن نعلم أنك هنا... صحيح أنك قد نجحت في إسقاط طائرتنا، ولكن هذا يعني أنك هنا... سلم نفسك، وأعدك أن تبقى على حياتك، وحياة تلك المرأة معك.

تنحنح قائد (الجيب)، قبل أن يقول في حرج وتردد:

- كولونيل .. إنه يتحدث بالإسبانية

زمجر (رودريجز) ، قائلاً :

- خصمنا يعرف الإسبانية أيها الغبي .

ثم التقط منظاره المقرب من حارسه ، مستطردًا

- إلى جانب عدة لغات أخرى

وضع المنظار على عينيه ، وراح يديره في المنطقة كلها ، قبل أن يقول في غضب

- إنهما لم يبتعدا .

وخفض المنظار ، مضيفًا في صرامة .

- إنهما هنا .

تطلع مرة أخرى إلى حطام الطائرة الروسية ، ثم أشار بيده ، قائلاً في صرامة آمرة

- افحصوا الحطام جيدًا .

انقض الرجال بخيولهم على حطام الطائرة ، في حين تمتم قائد (الجيب) في توتر :

- لم يكن من الأسهل أن ننسف الحطام كله ، و ...

قاطعه (رودريجز) في صرامة .

- لا تعلمني كيف أعمل .

تراجع الرجل ، وانكمش في مقعده ، متمتمًا :

- معذرة يا كولونيل .. معذرة

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كان الرجال يفحصون حطام الطائرة الروسية ، ويتحدثون حوله ، و ...

وفجأة ، انعقد حاجب أحدهم في شدة ، وسرى في جسده تفاعل مباغت ، انتقل بوسيلة ما إلى جواده ، الذي أطلق صهيلاً عصبيًا ، فجذب الرجل لجامه في قوة ، وهو يهمس ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

- كولونيل (رودريجز) .. لقد عثرت عليه .

سرى الانفعال فى جسد (رودريجز) ، عندما سمع العبارة ، فهتف فى صوت خافت ، عبر جهاز الاتصال :

- أأنت واثق يا رجل ؟! .

أجابه الرجل ، وهو يصوب مدفعه الآلى ، نحو بقعة لسقف حطام للجزء الأوسط من الطائرة .

- تمام الثقة يا كولونيل .. لقد حفر حفرة لسقف الحطام ، ولكن سترته تبدو من جزء منها .

انعقد لسان (رودريجز) لحظة ، من فرط الانفعال ، قبل أن يهتف فى صرامة .

- وماذا تنتظر يا رجل ؟! أطلقوا عليه النار فورًا

أجابه الرجل فى حزم :

- أوامرك يا كولونيل .

ثم أشار إلى أقرب ثلاثة رجال إليه ، ووضع سبابته على شفتيه ، ليحذرهم من التحدث عن الأمر ، ودس

جهاز الاتصال فى حزامه ، ثم أشار إلى تلك الحفرة لسقف الحطام ، فصوب الآخرون فوهات مدافعهم الآلية نحوها ، قبل أن يضغط هو سبابته دفعة واحدة ، و ...

وانطلقت رصاصات المدافع الآلية الأربعة نحو الهدف

كله

* * *

٢- رجل واحد ..

« ستضرب ضربتنا الآن .. »

نطق دون (جوميتى) العبارة ، فى مزيج من الصرامة والحزم والتوتر ، وهو يضرب قبضته فى راحته الأخرى ، قبل أن يشد قامته ، متابعًا :

- فليستعد الرجال فورًا .

تنحنح مساعده (آل) فى توتر ، قبل أن يقول :

- دعنا لا نتسرّع على هذا النحو يا دون .

قال (جوميتى) فى حدة :

- لقد اتخذت قرارى .

أشار (آل) بيده ، محاولاً تهدئته ، وهو يقول

- بالطبع يا دون .. بالطبع .. لا أحد يمكنه مراجعتك ، فيما تتخذ من قرارات .. كل ما أطلبه هو التروى بضع دقائق .. هذا لن يصنع فارقًا

صاح (جوميتى) ، وهو يلوّح بذراعه فى قوة

- ومن قرانى ؟! دونا (كارولينا) بدأت تلعب بأوراق مكشوفة ، وهذا يعنى أنها ستضرب ضربتها فى أية لحظة الآن .

قال (آل) فى حزم :

- دونا يمكن أن تربح معركتها ، دون أن تتحرك من مكانها .

صاح به فى غضب :

- وكيف أيها العبقرى ؟!

تعقد حاجبا المساعد ، وهو يقول :

- بأن نتحرك نحن بأسلوب خاطئ متسرّع ، لنضع رقابنا تحت نصلها ، بأبسط وأسرع وسيلة ممكنة

حدق فيه (جوميتى) مستنكرًا ، وهمّ بقول شيء ما ، يكل ما يعتمل فى نفسه من غضب ، إلا أن عقله لم

يلبث أن استوعب المعنى كله ، فبدا عليه مزيج من التردد والتوتر ، وهو يقول

- ماذا تقترح يا (آل) ؟!

ثم استعاد عصبيته ، مع استطرادته :

- ولكن لا تنصحني بالتراجع ، أو بتأجيل الهجوم

فابتسم (آل) ، متمتمًا :

- لا يا (جومالي) .. لن أفعل

ثم بدا يتحرك في المكان ، متابعًا في اهتمام :

- كل ما أريده هو أن ندرس الهجوم ، ونتمسك جيدًا ، فعدونا ليست بسيطة .. إنها ذات عقلية تخطيطية جبارة ، وما دامت قد كشفت أوراقها أمامك على هذا النحو ، فهذا يعني أنها ستتوقع أية محاولة منك للهجوم .

تضاعفت عصبية (جومالي) ، وهو يقول

- ماذا نفعل إذن ؟! هل نستدرجها إلى هنا ، ثم ..

قاطعه في صرامة :

- خطأ يا لوى .. هذا نفس ما تتوقعه منك الآن ، فلو أنها تذكر تاريخ العائلة ، وهذا ما أثق به تمامًا ، فستذكر جيدًا أن هذا أول دليل على خيانتك

هتف (جومالي) في غضب :

- خيانتي ؟!

استدرك (آل) في سرعة :

- أقصد محاولتك للفوز بمقعد الزعامة

قال (جومالي) في حدة :

- هذه ليست خيانة .. إنها محاولة لتصحيح الأوضاع من الخطأ أن تقودنا امرأة

بذل (آل) جهدًا خرافيًّا هذه المرة ، للسيطرة على أعصابه ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا لوى .. بالتأكيد

ثم التقط نفسًا عميقًا، قبل أن يضيف في حزم:

- المهم أن نرتب العملية جيدًا.

فرك (جوماتي) كفيه في توتر زائد، وهو يقول:

- ما اقتراحك ؟!

انعقد حاجبا (آل)، وهو يفكّر في عمق، قبل أن يشير بسبّابته، قائلاً في حزم:

- دونا أكدت في الاجتماع أنها تريد تلك المصرية المصابة، بحالة صحية جيدة، وهذا يعني أن أي خبر عن مكان تلك المصرية، سوف يستفزها، ويدفعها إلى ....

قاطعه بغتة رنين الهاتف المحمول، الخاص بدون (جوماتي)، فتوقف عن الكلام، في حين انتزع هذا الأخير هاتفه، وضغط زر الاتصال، دون أن يلقي نظرة على الرقم، وقال بكل عصبية الدنيا:

- دون (جوماتي) ...

ولم يكد يسمع ما قاله محدثه، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما، وسقط فكه السفلي على نحو عجيب، وغادرت الدماء من وجهه دفعة واحدة، حتى أن مجالسه هتف في ذعر:

- ماذا حدث يا دون ؟!

حدق فيه (جوماتي) لحظة في ذهول، قبل أن يهتف:

- دونا (كارولينا)

هتف به (آل)، وقد تضاعف ارتياعه:

- ماذا فعلت ؟!

خُيّل إليه أن الكلمات قد انحشرت في حلق (جوماتي) بضع لحظات، وهو يلوّح بذراعيه، قبل أن يقول بصوت متحشرج مذعور:

- رجالها اقتحموا مزرعتي في (لوس أنجلوس)، واستعادوا فتاة المخابرات المصرية

هتف (آل) في ارتياع .

- استعادتها ؟!

ترك (جومتي) هاتفه المحمول يسقط من يده ، وهو يقول :

- ليس هذا فحسب ... لقد دمروا المزرعة تماماً ، وأشعلوا النيران في قصري هناك

وسقط جسمه على أقرب مقعد إليه ، دون حتى أن يشعر بهذا ، وهو يقول في انهيار

- لقد بدأت حربها ... لقد سبقتنا إلى الهجوم

حدّق (آل) في وجهه بضع لحظات ، في مزيج من الذعر والذهول والارتياع ، قبل أن ينتفض في قوة ، هاتفاً :

- اسمع يا دون ... انس كل ما قلته لك منذ دقائق خلف ظهرك ... الأمر لم يعد يحتمل التخطيط والمناورة ... مر رجالك بالهجوم فوراً ، دون أية

قاطعه صوت أنثوي ساخر هذه المرة ، يقول :

- أظنكم قد تأخّرتم كثيراً على هذه الخطوة يا (آل)

استدار المحامي بكل ذعر القلب ، ليحدق في نفس البقعة ، التي انسحبت عنها (جومتي) عن آخرهم ، وهو يحترق فيها ..

البقعة التي وقف عندها خمسة من الرجال المسلحين ، يصوبون إليها فوهات مدافعهم الآلية القوية ، ووسطهم آخر شخص يتمنى رؤيته ، في مثل هذا الموقف العصيب

مونا .

مونا (كارولينا) ..

شخصياً

* * *

في تناسق مدهش ، ومهارة صنعتها سنوات من التدريب الشاق ، أطلق الرجال الأربعة نيران مدافعهم الآلية ، نحو تلك الحجرة : سقف حطام الطائرة الروسية المحترقة

والعجيب أن دوى رصاصاتهم لم يُجفل جيادهم أو يصيبها بالذعر، كما يحدث للخيول في المعتاد، في موقف كهذا؛ وكأنما تم تدريبها أيضاً، على مواجهة ظروف كهذه..

كل ما فعلته الجياد، هو أنها راحت تطلق صهيلاً عصبياً، وتضرب الأرض بحوافرها في توتر، و...

وفجأة، برز (أدهم)..

برز من داخل حفرة أخرى، تبعد مترين فحسب، من تلك التي ترك فيها سترته للتمويه والخداع.

وقبل حتى أن يراه أحدهم، أو يدرك وجوده، وثب إلى متن أقرب جواد إليه، ليستقر خلف راكبه، هاتفاً:

- هدف خاطئ أيها الوغد..

وبحركة مزدوجة سريعة، هوى بقبضته اليسرى على مؤخرة عنق الرجل، في نفس اللحظة التي التقط فيها مدفعه، وأدار فوهته نحو الثلاثة الآخرين، الذين استداروا نحوه بدورهم، وآخر يصرخ من بعيد:

- ها هو ذا.



وقبل حتى أن يراه أحدهم، أو يدرك وجوده، وثب إلى متن أقرب جواد إليه، ليستقر خلف راكبه

ومع صرخته ، ضغط الرجال الثلاثة أزندة مدافعهم الآلية ..

وضغط (أدهم) زناد مدفعه ..

واخترقت رصاصات الثلاثة جسد زميلهم ، في نفس اللحظة التي حصدتهم فيها رصاصات مدفع (أدهم)

ومن كل صوب ، انطلق الباقون بجيادهم نحوه ، و(رودريجز) يصرخ ، عبر مكبر الصوت القوي

- أوقفوه .. اقتلوه .. اسحقوه سحقا

ولكن (أدهم) دفع جثة راكب الجواد ، وهو يقبض على اللجام بكل قوته ، هاتفا

- هيا أيها الأوغاد .. دعونا نختبر فروسيتكم .

أدار لجام الجواد ، في مهارة مدهشة ، جعلت الجواد يطلق صهيلاً عاليًا ، ثم يطيع راكبه ، وينطلق كالريح

في قلب الصحراء

الصحراء التي تمتد منبسطة إلى مدى البصر

في كل الاتجاهات .

وخلفه انطلق الجيش كله

أربعون فارسا على جيادهم .. مع مدافعهم الآلية

وسيارتي (جيب)

ومن مكانه ، هتف (رودريجز) بالجندي ، الذي يقف خلف مدفع الميدان

- هيا يا رجل .. أثبت مهارتك ، وانسفه بمدفعك

هتف الرجل في حماسة ، وهو يدير حلقة المدفع في سرعة :

- كما تأمر يا كولونيل

صوّب مدفعه ، بكل المهارة والخبرة ، التي اكتسبها من طول عمله بالجيش ، ثم جذب ذراع الإطلاق .

وانطلقت القنبلة

وعلى مسافة ثلاثة أمتار من (أدهم) ، دوى الانفجار ..

انفجار قوى عنيف ، كاد يفقده وجواده توازنهما ، لولا أن سيطر هو على اللجام بساعديه القويين ، وقدميه اللتين ضغطا بطن الجواد في قوة ، قبل أن يهتف في حزم :

- الأمر لن يكون هينا أيها الجواد .. لابد أن نبذل جهدا إضافيًّا ، للإفلات من كل هذا

والعجيب أن الجواد قد أطاعه ، كما لو أنه قد فهم قوله واستوعبه ، فزاد من سرعته وهو ينهب الأرض نهبا ، ويثير خلفه سحابة من الرمال ، كان لها الفضل ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، في عجز جيش الفرسان الذي يطارده ، عن إجادة تصويب رصاصاته ، التي راحت تنطلق عشوائيًّا

بمنتهى القوة ..

ومنتهى السخاء ..

ثم دوت قنبلة أخرى ، على مسافة مترين فحسب

وفي هذه المرة ، كان الانفجار قويا بحق

بل كان من العنف ، بحيث دفع (أدهم) والجواد بقوة هائلة ، اختل معها توازن الجواد ، فسقط أرضا ، وهو يطلق صهيلا قويًّا ..

وعلى الرغم من سقوطه ، لم يفلت (أدهم) لجامه لحظة واحدة ..

لقد هبط على قدميه ، وسط سحابة الدخان الرهيبة ، التي صنعها الانفجار ، ثم جذب الجواد في قوة ، ليدفعه إلى النهوض ، ووثب على متنه مرة أخرى ، هاتفا

- هيا يا صديقي .. دعنا نستغل سحابة الدخان هذه قبل أن نفقد عامل المفاجأة وتأثيره

جذب لجام الجواد ، وأداره في مهارة ، ثم انطلق به ، عبر سحابة الدخان الكثيفة

في الاتجاه المضاد .

انطلق نحو مهاجميه ، وليس بعيدا عنهم

وكانت مفاجأة مذهلة للرجال

انقضوا على سحابة الدخان الكثيفة بكل تحفز الذئب ، لاقتناص فريستهم المنفردة ، ففوجئوا بالفريسة تنقض عليهم كالوحش الكاسر .

وعلى الرغم من أن (أدهم) لا يميل للقتل وإراقة الدماء ، إلا للضرورة القصوى ، إلا أنه لم يتردد لحظة واحدة ، في هذا الموقف ، وهو يضغط زناد مدفعه الآلي ، ويفتح النار على خصومه كلهم .

وبلا رحمة

فقد كان من المستحيل ، في موقف كهذا ، أن يتخذ أي رد فعل آخر

ولقد انطلقت رصاصاته تحصد الرجال ، الذين أخذتهم المفاجأة ، قبل أن يندفع بجواده وسطهم ، مثيرا أقصى قدر ممكن ، من الارتباك ، والاضطراب ، والتوتر

ومن موقعه ، وعبر منظاره المقرب ، شاهد (رودريجز) ما حدث ..

شاهد رجاله يتساقطون ، بعضهم برصاصات (أدهم) ، والبعض الآخر بضرباته القوية ، بعد أن أصبح وسطهم تماما ، على نحو يتعذر معه إطلاق النار ، بأي حال من الأحوال .

وبكل الغضب والمقت ، غمغم (رودريجز)

ـ إنه يستحق سمعته عن جدارة

ثم التقط جهاز الاتصال اللاسلكي المحمول ، وقال عبره في صرامة

ـ فليتراجع الرجال كلهم دفعة واحدة ، ولتنقض السيارتان من الجانبين

هتف به سائق جيب في حماسة .

ـ ألا نطلق عليه قذيفة أخرى يا كولونيل

قال (رودريجو) في غلظة :

- وسط رجالنا مباشرة ؟! يا لك من عبقري !

في الأحوال العادية ، كان سيواصل الصراخ فيه لخمس دقائق كاملة على الأقل ، لأنه تدخل في الأمر للمرة الثانية ..

ولكنه ، في ظل هذا الموقف ، اكتفى بالعبارة السابقة فحسب ..

هذا لأنه كان منشغلا بكل حواسه ، وعبر منظاره المقرب ، في مراقبة رجاله ، الذين نفذوا خطته على الفور ، فانطلقوا مبتعدين عن (أدهم) ، في كل الاتجاهات ، في لحظة واحدة بالضبط ، في نفس الوقت الذي انحرفت فيه سيارات الجيب ، لتنقض عليه من الجانبين ، و ...

وكان هذا يغيّر تكتيك المعركة تمامًا وبعنف ..

* * *

« كل الحسابات تؤكد أن هذا مستحيل ! »

نطق المساعد الأول لمدير المخابرات العامة المصرية العبارة ، وهو يراجع كل التقارير ، الواردة من الولايات المتحدة الأمريكية و (المكسيك) ، قبل أن يتابع :

- رجالنا في الولايات المتحدة يؤكدون أنه ليس لديهم الإمكانيات اللازمة ، للقتال داخل حدود (المكسيك) ، وعدد رجالنا هناك ليس كافيًا ، بأي حال من الأحوال ، كما أن الحكومة المكسيكية ترفض حتى الاعتراف بالأمر ، وتؤكد أن وسائل دفاعها الجوي الرسمية ، لم ترصد سقوط أية طائرات ، ثم إنهم يقولون إن تلك المنطقة ، التي حددها الخبراء لسقوط الطائرة الروسية ، التي كانت تقل سيادة العميد (أدهم) ، منطقة مهجورة ومقفرة تمامًا ، ولكنها تخضع لسيطرة جنرال سابق منشق ، يدعى (ألفرو) ، وأنها غير مستعدة للدخول في معركة معه ، من أجل أمر ليس لديها ما يؤكد حدوثه .

تساءل أحد رجال المخابرات في توتر :

ـ ولماذا لايقومون بعملية استطلاع جوى للتيقن ؟!

أجابه المساعد :

ـ من الواضح أنهم لايرغبون في الاحتكاك بالجنرال (ألفرو) هذا ، بأى حال من الأحوال

قال آخر في حيرة :

ـ أهو قوى إلى هذا الحد ؟!

هز المساعد رأسه ، مجيبًا :

ـ لو أننا نظرنا إلى الأمر ، من الناحية الحسابية المحضة ، فهو لايمثل أية قوة عسكرية تذكر ، ولكن المشكلة تكمن في أنه شخصية محبوبة جدًا في الأوساط العسكرية المكسيكية ، وبعضهم يعتبره بمثابة الأستاذ ، أو المثل الأعلى ، والسلطات المكسيكية تخشى أن

تصطدم به ، فتشعل بهذا نار الفتنة ، في صفوف قواتها العسكرية ، ويحدث من جراء هذا ما لاتحمد عقباه

هتف أحد رجال المخابرات ، في غضب مستنكر

ـ هل يعني هذا أن نتخلى عن سيادة العميد (أدهم) ؟!

تعقد حاجبا المدير ، دون أن ينبس ببنت شفة ، في حين قال المساعد في سرعة وحزم

ـ مطلقًا .. لقد درسنا كل الاحتمالات ، حتى احتمال اختراق المجال الجوى المكسيكى ، بوحدة من طائراتنا ، عبر المسار نفسه ، الذى اتخذته الطائرة الروسية قبل سقوطها ، مادموا يؤكدون أنه لم يتم رصدها ، بأية وسيلة من وسائل الدفاع الجوى ، ولكن المشكلة تكمن في أن أي إجراء نتخذه ، يحتاج إلى خمس عشرة ساعة على الأقل ، للقيام به ، ولو افترضنا أن سيادة

العميد (أدهم) قد نجا من حادث الطائرة ، فالخبراء يؤكدون أن مسار سقوطها لم يكن عشوائيًا ، ويعتقدون أنها كانت تتجه به إلى منطقة نفوذ الجنرال (ألفرو) بالتحديد ، وهذا يعني أنه - بفرض نجاته - يواجه جيش (ألفرو) هذا بأكمله الآن ، في قلب الصحراء المكسيكية .

ثم التفت إلى الخريطة الكبيرة على الجدار ، متابعًا :

- والمنطقة كما ترون ، منبسطة تمامًا ، ولا يوجد بها مكان واحد ، للفرار أو الاختباء .

هتف رجل مخابرات :

- وما الذي يعنيه كل هذا ؟!

اعتدل المدير في مقعده ، عند هذه النقطة ، وأجاب في حزم :

- يعني أن (ن - ١) يواجه أكبر خطر في حياته ،

ولسنا موقف ولجهه على الإطلاق ، وعامل الزمن والمسافة يمنعنا من التدخل في الوقت المناسب ، لمساندته أو إنقاذه . هذا بفرض أنه ما زال على قيد الحياة بالفعل .. هذا بالضبط ما يعنيه الموقف ، فهل لدى أحدكم أي اقتراح محدود ؟!

تبادل الرجال نظرة صامتة متوترة ، قبل أن يقول أحدهم بغتة في حزم :

- أنا لدي اقتراح ، يشمل الإمكانيات المتاحة ، لطاقمنا في الولايات المتحدة الأمريكية

سأله المدير في اهتمام ، والعيون كلها تلتفت إليه :

- وما اقتراحك ؟!

تنحنح الرجل ، واعتدل في مقعده ، وشد قامته في اعتداد ، وهو يقول بمنتهى الحزم والعزم

- نورث (كارولينا) .

ودون أن يضيف حرفاً آخر، أو حتى يشرح تفاصيل اقتراحه، بدا الأمر للجميع منطقياً للغاية ..

* * *

لم يكد رجال (رودريجز) يتلقون أوامره، عبر أجهزة الاتصال المحدودة، التي لايمتلك (أدهم) مثلها، حتى تفرقوا بأسلوب تكتيكي مدروس، وانطلقوا مبتعدين في كل الاتجاهات، في نفس اللحظة التي قفزت فيها سيارتا (الجيب) على (أدهم) وجواده، من الجانبين ..

وعلى الرغم من عامل المفاجأة، ومن الرصاصات التي راح ركاب سيارتي (الجيب) يمطرونه بها بلا هوادة، انطلق عقل (أدهم) يدرس الموقف كله، في سرعة يندر أن يمتلكها عقل بشريّ عاديّ ..

وفي جزء من الثانية، اتخذ قراره .

وقبل أن تكتمل الثانية، كان يضعه موضع التنفيذ ..

وبكل الحزم والعزم والقوة، جذب عنان جواده، وأطلق صرخة قتالية عالية، استعاد معها ذكريات فترة صباه، في القوات الخاصة المصرية، وهو ينطلق، نحو (الجيب) اليمنى مباشرة .

وعلى الرغم من كونه مجرد رجل واحد، في مواجهة جيش كامل، إلا أن إقدامه الباسل هذا أثار الرجفة، في قلوب خصومه، وجعلهم يطلقون الرصاصات نحوه في توتر بلا حدود

وشعر (أدهم) بالرصاصات تتطاير حول أذنيه، وشق عمود من النار كتفه اليسرى، وألهبت رصاصة طائشة عنقه، وقدت ثالثة من عضلة ساعده الأيمن ..

ولكنه لم يتوقّف ..

لقد واصل الانطلاق بجواده نحو الجيب ، التى هتف قائدها ، وهو يتحرك بها فى ارتياع :

- أى رجل هذا ؟!

ومن بعيد ، انعقد حاجبا (رودريجز) فى شدة ، وهو يغمغم :

- مستحيل ! قراءة مثله لا تساوى شيئاً . لم رؤيته يعمل مباشرة .. إنه معجزة .

ثم انخفض صوته ، من فرط الانفعال ، وهو يضيف فى غضب :

- ولكنه لن ينتصر على (رودريجز) .

قالها ، ثم التقط جهاز الاتصال اللاسلكى ، ليهتف بكل توتره وصرامته :

- الجواد .. صوّبوا رصاصاتكم إلى الجواد .

كانت المسافة ، التى تفصل (أدهم) عن (الجيب)

تنكمش بسرعة ، عندما صوّب ركبها فوهات مدافعهم الآلية إلى جواده .

وأطلقوا النار ..

وانطلق صهيل الجواد عالياً ، عندما اخترقت رصاصاتهم جسده ، وارتفعت قائمتاه الأماميتان تضربان الهواء فى عنف ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وعلى مسافة عشرة أمتار فحسب ، من الجيب الهائل ، بركبها الأربعة ، المسلحين بمدافع آلية قوية ، سقط (أدهم) على رمال صحراء (المكسيك) ..

تلك الرمال ، التى بدت فى تلك اللحظة ، ملتهبة ..

وقاتلة ..

تماماً .

* * *

٣ـ دونا (كارولينا) ..

فى هدوء عجيب ، وبابتسامة ساخرة متشفية ، أشعلت دونا (كارولينا) سيجارتها ، ونفثت دخانها فى سماء حجرة مكتب دون (جوماتى) الأنيقة ، قبل أن تتطلع إلى هذا الأخير ، قائلة :

ـ عجبا ! لماذا امتقع وجهك الوسيم إلى هذا الحد يا عزيزى (جوماتى) ؟! هل تزعجك رؤيتى إلى هذا الحد ؟!

حاول (جوماتى) أن يقول شيئا

أى شئ ..

ولكن الرعب الشديد ، الذى ملأ نفسه ، مع فوهات المدافع الآلية ، المصوبة إليه ، وتلك الغصة فى حلقه ، جعلاه يتمتم ، فى صوت متحشرج مختنق :

ـ دونا .. إننى

صمتت هى تماما ، لتمنحه الفرصة كاملة للحديث ، إلا أنه لم يستطع إضافة حرف واحد ، فتنحنح (آل) قلقا

ـ دونا . تصرفك هذا يخالف كل الـ

قاطعته دونا (كارولينا) فى هدوء حازم :

ـ لا يا (آل) . ليس هذا مكان أو وقت المواعظ القانونية . لقد انحسم الأمر

هتف المحامى معترضا :

ـ ولكن يا دونا ..

قاطعته مرة أخرى ، فى صرامة شديدة :

ـ مساعدى (كارلو) اقتحم مزرعة (جوماتى) ، فى (لوس أنجلوس) ، وعثر فيها على (جيهان) ، وشاهد بنفسه كل الاستعدادات الطبية ، التى أمر (جوماتى) بنفسه بإعدادها ، لضمان بقائها على قيد الحياة ، حتى تنتقل الحجة إليها . وكل رجالكما اعترفوا

يهذأ : لثراء حياتهم ، والتفكير عما ارتكبه زعيمهم ، في حق العقلة وقوانينها

هتف (آل) في عصبية :

- هذا ليس دليلاً على أن دون (جومتي) قد قتلها .. ربما هو أحد رجاله ، الذي .

قاطعته للمرة الثالثة ، في صرامة ، قائلة :

- أما بالنسبة لرجالكما هنا ، فلا تشغلا نفسيكما بهم كثيرًا ، فمن لم يذبحه رجالي ، سيستسلم لنا تمامًا . والكل هوجم بالجيش الذي حاصرت به قصرك يا عزيزي (جومتي) ، والذي انقضّ من كل صوب

كاد (جومتي) يبكي ، وهو يغمغم :

- دونا .. أرجوك .

أما (آل) ، فارتجف صوته في شدة ، وهو يقول

- فليكن يا دونا .. لقد أثبت عبقريتك ، في التوصّل إلى كل الحقائق والتفاصيل ، ولكن هناك قوانين

عقلية ، لابد من الالتزام بها ، وفقًا للقاعدة الحصول بها لدينا .. لا لأمور شخصية ، للعمل ومصلحته فقط(*) .

ابتسمت ، وهي تنفث دخان سيجارتها مرة أخرى ، قائلة :

- عبقريتي ؟! كنت أتمنى أن يكون ما توصلت إليه بسبب عبقريتي بالفعل .. على الأقل حتى أزهو بانتصاري على العزيز (جومتي) ، أمام مجلس العائلات ، ولكن الواقع أن المعلومات عنها قد وصلتني ، عبر زعيم إحدى منظمات الجاسوسية الخاصة ، كعربون للصداقة الجديدة بيننا

اتسعت عينا (جومتي) ، وهو يهتف .

- زعيم ماذا ؟!

ثم هبّ من مقعده ، صائحًا في انفعال .

- لعلك لا تقصدين مستر (X) .

(*) هذه القاعدة تلتزم بها عائلات (المافيا) منذ نشأتها ، فمصلحة العائلة والعمل فوق كل اعتبار ، دون أية اعتبارات شخصية أو عاطفية

أومأت برأسها إيجابًا في هدوء ، وقالت

- بالضبط .. من الواضح أنك تعرفه جيدًا يا عزيزي (جوماتي)

صاح في غضب هادر

- ذلك الوغد الحقير يلعب أقذر لعبة .. في حياته كلها .. إنه يضرب عصفورين بحجر واحد .

قالت في سخرية

- حقًا ؟!

صاح بكل انفعاله

- نعم .. حقًا يا دونا .. ذلك الوغد هو صاحب اقتراح السعي للتخلص منك ، وأنا كنت مجرد أداة في يده ، ولقد وعد بمعونتي على كل ما فعلت ، مقابل صداقتي .. عندما أصبح الأب الروحي للعائلة كلها

هزّت رأسها ، ونفثت دخان سيجارتها في بطء ، قائلة

- يا لها من قصة درامية رائعة ! ولكن ألا تبدو لك أشبه بأفلام الثلاثينيات يا عزيزي (جوماتي) ؟!

صاح في حدة

- إنها الحقيقة يا دونا .. لقد تعرفت عليه ، وراقبت طاعة أوامره .. في آخر تفاصيل بيتك ، لذا فقد قرر معاقبتي على هذا ، وكسب صداقتك في الوقت ذاته ، بلعبة مزدوجة حقيرة

قالت في سخرية

- عجبًا ! كل التسجيلات ، والصور ، والوثائق التي أرسلها لي مستر (X) ، لا توحي بشيء من هذا على الإطلاق

صرخ

- وكيف حصل عليها في رأيك ؟!

هزت كتفيها ، قائلة :

- إنه زعيم منظمة للجاسوسية

صرخ ، في انفعال بلا حدود :

- لا يا دونا .. لا .. إنه يخدعك .. يخدعك وينتقم مني في آن واحد

التقى حاجباها ، وهي تلقي سيجارتها أرضًا ، وتسحقها بقدمها ، قبل أن تقول في حزم :

ـ ما تقوله يستحق التفكير يا عزيزي (جومتي)

هتف المحامي في لهفة :

ـ بالتأكيد يا دونا .. بالتأكيد .. الأمر يستحق التفكير

أشارت بسبابتها ، قائلة :

ـ أعدكم أن أدرس الأمر بمنتهى الدقة

ثم تألقت عيناها بضحكة ساخرة ، وهي تضيف :

ـ بعد عودتي من جنازتيكما مباشرة

قالتها ، ثم استدارت منصرفة ، وملوحة بيدها ، متابعة :

ـ وداعًا يا (جومتي) .. وداعًا يا (آل)

شهق (جومتي) برعب هائل ، وهو يتراجع بعينين متسعتين ، تحدقان في فوهات المدافع الخمسة التي ارتفعت في وجهيهما ، في حين صرخ المحامي :

ـ لا يا دونا .. لا يمكنك أن تفعلي هذا .. هناك قوانين وقواعد عائلية ، و ..

ابتسمت في سخرية ، وهي تبتعد عن المكان في هدوء ، ودوى المدافع الآلية ، الممتزج بصرخات الرجلين يأتي من خلفها ، وغمغمت :

ـ خطأ يا (آل) .. لقد فعلته بالفعل .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع رنين هاتفها المحمول ، فالتقطته في حركة آلية ، قائلة في صرامة :

ـ دونا (كارولينا) .. من المتحدث ؟!

أتاها صوت قوي ، يقول بإنجليزية سليمة تمامًا :

ـ إنني أتحدث إليك من (مصر) يا دونا .. أنا أحد أصدقاء السيد (أدهم صبري)

ومع ذكر اسم (أدهم) ، تحفزت كل ذرة في كيانها ، وراحت تستمع إلى محدثها في انتباه واهتمام .

وكان ما يقوله مهمًا وخطيرًا ..

بالفعل ..

* * *

« ولكن لماذا ؟! »

هتفت (لورا) بسؤالها في دهشة بالغة ، وهي تجلس أمام شاشة جهاز الاتصال الخاص ، الذي حملته معها ، إلى قاعة (أفرو) ، فتراجع مستر (X) على الشاشة ، بوجهه الغارق في الظلام ، وهو يجيب ، في لهجة بدت صارمة قاسية ، أكثر مما ينبغي

- لأن (جوملي) حاول الخروج من تحت سيطرتنا ، وكان من الطبيعي أن نسعى لتصفيته ، وكانت فرصة مناسبة ، في الوقت ذاته ، لنفوز بصفقة نوب (كاليفورنيا)

انعقد حاجباها ، وهي تقول في توتر

- ولكنها حركة غادرة للغاية

سألها في برود قاس :

- ماذا كنت تتصورين ؟ أن يفسد عملنا كله بحماقته .

قالت في حدة

- مازالت تبدو لي حركة غادرة

وبدأت تدخن سيجارتها ، قبل أن تستطرد في عصبية زائدة

- ثم إن هذا يبدو أسلوبًا متخذًا ، في كل أعمالك ، (سونيا جراهام) عارضتك ، فنسفت سيارتها في (باريس) ، و(جوملي) تمرد عليك ، فسحقته سحقًا ، لتحقق هدفك بوسيلة أخرى

قال بمنتهى القسوة

- بالضبط .. هذا أسلوبي

أطفأت سيجارتها ، قائلة في عصبية :

- إنه لا يروق لي

أجابها في خشونة :

- هذا لن يمنع تطبيقه على الجميع ، حتى أنت نفسك ، لو حاولت تجاوز الحدود

أشعلت سيجارة أخرى ، في عصبية أكثر ، وهي تهتف

- إنني أرفض أسلوب التهديد هذا

قال في خشونة أكثر :

ـ هذا شأنك .

همّت بقول شيء آخر ، ولكنه زمجر في قسوة ، قائلاً :

ـ ما الذي بلغته مهمتك ، حتى هذه اللحظة ؟!

أغاظتها أن ينتقل بالحوار إلى نقطة أخرى ، على هذا النحو ، حتى كادت تقضم طرف سيجارتها ، وهي تقول

ـ إنهم لم يظفروا به بعد ، على الرغم من خسارتهم لأكثر من عشرين رجلاً .

بدا صوته غاضبًا ، وهو يقول في حدة

ـ لماذا أرسلتك إذن ؟! الهدف من دعمك شخصيًا ، هو منعهم من التراجع أمام خسائرهم لتستحثي حميتهم ولتشجعيهم ، ولتخلبي لب ذلك المأفون المكسيكي ، ولتوهميه بأنه لن يظفر بك ، إلا إذا ظفر بـ (أدهم صبري) .

صاحت في غضب :

ـ تتحدث كما لو أنني عاهرة .

قاطعها في صرامة شديدة

ـ نفذي ما آمرك به يا (لورا)

احتقن وجهها ، وهي تنفث دخان سيجارتها في عصبية ، قبل أن تقول :

ـ سأبذل قصارى جهدي أيها الزعيم .

ثم أضافت في حدة :

ـ ولكن ذلك المصري أقوى مما كنت أتصور ، وأقوى مما كانوا يتصورون بكثير ، و(ألفارو) عصبي للغاية ، لأنه يفقد قواته مع كل دقيقة تمضي ، في صراعه مع رجل واحد ، وهذا يجرح كرامته وهيبته بشدة .

قال في غلظة :

ـ ستداوي جراحه ، وسينسى كل هذا .

انعقد حاجباها ، وهي تقول في عصبية :

ـ سأحاول .

صمت لحظة ، وكأنما ينتظر منها إنهاء الاتصال ، ولكنها لم تكد تمد يدها إلى زر الإنهاء ، حتى اعتدل بغتة ، متسائلا :

ـ مهلا .. أتقولين إنهم يطاردونه وحده ؟!

أجابته في توتر :

ـ هذا ما أقوله منذ البداية .

سأل في اهتمام :

ـ أين ذهبت المرأة إذن ؟!

ارتفع حاجباها في دهشة ، وهي تتساءل :

ـ أية امرأة ؟!

قال في سرعة :

ـ العميل المكسيكي رصد رجلا وامرأة ، قبل أن يسقط (أدهم) ، وهذا يعني أن واحدة من أفراد طاقم الطائرة الروسية قد نجت من الحادث أيضا

حاولت أن تستوعب سر اهتمامه البالغ بهذا الأمر ، قبل أن تهز كتفيها ، قائلة في حذر :

ـ وماذا في هذا ؟!

مال بجسده إلى الأمام ، دون أن يخرج وجهه من دائرة الضوء ، وهو يقول في حزم :

ـ نقطة الضعف يا عزيزتي (سونيا) .. نقطة الضعف الكبرى ، في شخصية (أدهم صبري) اهتمامه الزائد بحياة الآخرين .

نفثت دخان سيجارتها ، في بطء وعمق هذه المرة ، قبل أن تسأله ، وقد تضاعف توترها وحذرها :

ـ ما المفترض أن أفهمه من هذا ؟!

اعتدل في مقعده ، قائلاً في حزم :

ـ (أدهم صبري) أخفى تلك الروسية في مكان ما ، عند حطام الطائرة .

أطل تساؤل حذر من عينيها ، فتابع في صرامة :

ـ وفي تلك الروسية ، تكمن وسيلة التخلص (أدهم) ،
والانقضاض عليه تمامًا .

وعندئذ .. عندئذ فقط ، فهمت (لورا) مايعنيه

فهمته جيدًا ..

* * *

بمنتهى العنف ، وبعد سيل الرصاصات الذي أصابه ،
سقط جواد (أدهم) أرضًا

وسقط معه (أدهم) .

وعلى بعد عشرة أمتار فحسب من (الجيب) ،
التي تنطلق نحوه بأقصى سرعتها

ومع سقوطه ، هتف قائد (الجيب) في حماسة :

ـ ظفرنا به .

لم يكن هتافه قد اكتمل حتى ، عندما وثب (أدهم)
واقفًا على قدميه ، وانحرف جانبًا ، ليتفادى رصاصات

ركاب (الجيب) الأربعة ، قبل أن يندفع نحوها
كالصاروخ ، وهو يطلق رصاصاته على ركابها ، في
غزارة مخيفة ..

وحصدت رصاصاته اثنين من الرجال الأربعة ،
قبل أن يقفز هو قفزة عملاقة ، صرخ لها قائد
(الجيب) رعبًا ، عندما هبطت به داخلها تمامًا

وعلى الرغم من إصابة ساعده ، والرصاصة التي
تستقر في كتفه ، والدماء التي تنزف من عنقه ،
لتصبغ ياقة قميصه ، هوى بكعب مدفعه ، الذي أفرغ
من الذخيرة ، على رأس الرجل الثالث ، قبل أن
ينتزعه من مكانه ، ويلقي به خارج السيارة .

ومع ارتطام الرجل بالرمال ، سحب قائد (الجيب)
مسدسه ، صائحًا :

ـ لا .. لا تحاول الـ ....

قبل أن تكتمل صيحته ، قبضت أصابع (أدهم) الفولاذية
على معصمه ، ولوته لتجبره على إفلات المسدس ،



وسيطر على السيارة ، وأدارها بحركة ماهرة بارعة ، أثارت عاصفة من الرمال حولها ، قبل أن يطلق مبتعداً

فى نفس الوقت الذى انتزعته فيه يده الأخرى من مقعد القيادة ، ودفعته قدم (أدهم) خارج الجيب ، وهو يقول :

- هل تعتبر هذا مجرد محاولة ؟!

سقط الرجل أرضاً ، وتدحرج جسده على الرمال فى عنف ، فى نفس اللحظة التى احتل فيها (أدهم) مقعد القيادة ، وسيطر على السيارة ، وأدارها بحركة ماهرة بارعة ، أثارت عاصفة من الرمال حولها ، قبل أن يطلق مبتعداً

ومن موقعه ، وعبر منظاره المقرب ، شاهد (رودريجز) ما حدث ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف فى ذهول :

- مستحيل ! مستحيل !

قال قائد سيارته فى توتر

- لقد خسرنا الكثير يا كولونيل .. هذا المصرى شيطان بحق .

صاح به (رودريجز) في غضب :

ـ اصمت .

حاول السائق أن يصمت ، إلا أن ذلك الانفعال الجارف في أعماقه ، جعله يتابع في عصبية :

ـ أنا لم أر شيئاً كهذا قط ... ولم يكن بإمكاني حتى تصور حدوثه ... إنه معجزة رجل واحد ، ونحن نطارده بنصف جيشنا ، وعلى الرغم من هذا

صرخ (رودريجز) ، يقاطعه في ثورة :

ـ قلت : اصمت

ثم سحب مسدسه ، وألصق فوهته بصدغ السائق ، مستطرداً :

ـ أو أنسف رأسك ، لأخرسك إلى الأبد

جف حلق الرجل ، وهو يتمتم :

ـ بالتأكيد يا كولونيل .. بالتأكيد

انعقد حاجبا (رودريجز) في شدة ، حتى بدا لحظة وكأنه سينسف رأس الرجل بالفعل ، إلا أنه لم يلبث أن أعاد مسدسه إلى غمده ، وهو يقول في صرامة :

ـ ذلك المصري محظوظ ، ويجيد التحرك بسرعة فحسب

ثم استدار إلى الجندي المسئول عن مدفع الميدان ، قائلاً في حدة :

ـ هل خرج من مجال تصويبك ؟!

ربت الرجل على مدفعه ، وهو يقول في حزم :

ـ ليس بعد .

أشار له بيده ، هاتفاً :

ـ ماذا تنتظر إذن ؟!

أجابه الرجل بنفس الحزم :

ـ أوامرك يا جنرال .

صاح (رودريجز) فى حنق

- اضربه يا رجل .. اضربه ..

كانت الجيب الأخرى قد انطلقت تطارد (أدهم) ، عندما بدأ مسئول المدفع عملية التصويب ، و ..

وأطلق مدفعه ..

وعلى مسافة ثلاثة أمتار ، فى يسار سيارة (أدهم) دوى الانفجار ..

وانحرف (أدهم) بالسيارة إلى اليمين ، ثم راح ينطلق بها فى خط متعرج ، وبأقصى سرعة يسمح بها السير على الرمال ..

وأطلق الرجل قنبلة ثانية

وثالثة ..

ولكن أسلوب قيادة (أدهم) المدهش ، جعل القذائف كلها تخطئ الهدف ، وتنفجر حول السيارة ، على مسافات تتراوح بين الأمتار الثلاثة والخمسة ، فهتف قائد (الجيب) الثانية فى حدة ، عبر جهاز الاتصال

- كفى .. إنكم تمنعوننا من مطاردته ، لأننا نخشى أن تصيبنا قذائفكم الطائشة هذه

انعقد حاجبا (رودريجز) أكثر وأكثر ، عندما سمع العبارة ، وسرت فى جسده موجة حادة من التوتر ، و ...

وفجأة ، ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فانتفض جسده بحركة عنيفة ، قبل أن يلتقطه فى حدة ، قائلاً فى خشونة :

- من هناك ؟!

أدهشه أن سمع صوت (لورا) الأنثوى الناعم وهى تقول :

- إنه أنا يا (كولونيل) (لور) .. (لورا كيلرمان)

شعر بالحنق ، لاتصالها المفاجئ ، فى مثل هذه الظروف ، فقال فى غلظة :

- سيدة (لورا) أعتذر عن عدم استطاعتى انتظار وصولك مع الجنرال (ألزو) ، ولكن الموقف الآن لايسمح به .

قاطعته فى صرامة

- إنها ليست محادثة غرامية يا جنرال .. إننى أحمل لك رسالة من مستر (X)

لم يكد (رودريجز) يسمع اسم مستر (X) ، حتى انعقد حاجباه بانفعالات بشدة ، وهو يقول فى صرامة

- ماذا لديك ؟!

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهى تنقل إليه ما أخبرها به مستر (X) وسرت فى جسده موجة من الغضب والسخط ؛ لأنه لم ينتبه إلى هذا الأمر

الطيار أخبرهم أنه رصد رجلا وامرأة

وها هو ذا الرجل ،

فأين المرأة ؟!

أين ؟!

أين ؟!

رفع بصره يتطلّع إلى حطام الطائرة الروسية ، وهو يقول فى خشونة :

- لنشكرك يا سنيورا (نورا) .. لقد استوعبت الموقف

أنهى الاتصال فى غلظة وعدم مبالاة ، وألقى هاتفه فى جيبه ، وهو يغمغم ، بكل عصبية وتوتر الدنيا :

- إنها هنا .

تنحنح مسئول مدفع الميدان ، وهو يسأله :

- هل نتوقف يا كولونيل ، أم نطلق قذيفة أخرى ؟!

تابع (رودريجز) ، وكأنه لم يسمعه :

- لقد أخفاها جيداً ؛ ليحميها منا

سأله الرجل مرة أخرى

- قذيفة أخرى يا كولونيل ؟!

واصل (رودريجز) :

ـ إنها لحظة ضعفه الوحيدة

هتف الرجل :

ـ كولونيل .

استدار إليه في حدة ، صائحًا :

ـ ماذا تريد ؟!

تراجع الرجل في خوف ، مغمغمًا :

ـ سألتك هل أتوقف ، أم أطلق قذيفة أخرى ؟!

سأله في صرامة :

ـ كم تبقى لديك من ذخائر ؟!

رفع الرجل سبابته ، مجيبًا .

ـ قذيفة واحدة .

هتف به :

ـ أطلقها إذن

بدأ الرجل يعد مدفعه للإطلاق ، في حين هتف (رودريجز) بقائد (الجيب) :

ـ انطلق بنا إلى ذلك الحطام ، حيث برز المصري

انطلق الرجل بـ (الجيب) ، و

ومن خلفهما دوى المدفع

وانطلقت القذيفة

ثم دوى الانفجار

وبانفعال جارف ، صاح سائق (الجيب)

ـ يا إلهي .. انظر يا كولونيل

أدار (رودريجز) عينيه في حدة ، إلى حيث يشير الرجل ..

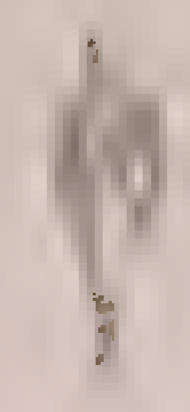
ثم انعقد حاجباه عن آخرهما

فهناك ، وعلى مدى البصر ، كانت قذيفة المدفع

الأخيرة قد تفجرت ، على مسافة متر واحد من سيارة (أدهم) ، التي أصابتها موجة تضاغط عنيفة ، في جانبها الأيسر ، و ...

وانقلبت السيارة براكبها ، في قلب الصحراء المكسيكية ، بمنتهى العنف .

* * *



٤ ـ نقطة الضعف ..

ارتجف جسد المصيدة الروسية (جوليا) من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، وهي تنكمش داخل تلك الحفرة ، أسفل حطام الجزء الأوسط من الطائرة ، ودوي الرصاصات والانفجارات يصك أذنيها ، ويبعث في جسدها رعبًا لا حدود له ، متصورة أن انفجارًا ما سيسحقها مع حطام الطائرة ، في أية لحظة

وفي ذهنها ، راحت تستعيد آخر كلمات (أدهم) لها

« لا تغادري مكمنك هذا أبدًا ، مهما سمعت أو رأيت .. لا تغادريه إلا إذا أتيت أنا لاصطحابك .. »

أطاعته دون مناقشة ، مع لهجته الصارمة الحازمة الآمرة ، وانكمشت داخل الحفرة الضيقة ، وهو يصنع حفرة أخرى ، على مسافة متر واحد منها .

لم تكن تعلم أو كيف يفكّر ، إلا أنه بدا لها مجنونًا ، وهو يصنع كل هذا ، في مواجهة جيش كامل ، كذلك الذي رأته يتجه نحوهما من بعيد .

صحيح أنها شاهدت كيف يعمل .

وأدركت كم يمتلك من قدرات ومهارات .

ولكنه في النهاية رجل واحد ..

مجرد رجل واحد ..

في مواجهة جيش كامل ..

ويا لها من معادلة مخيفة !!

ولقد حبست أنفاسها بشدة ، عندما سمعتهم يطلقون رصاصات مدافعهم الآلية ، نحو الصخرة الزائفة ، التي ترك فيها سترته .

وانتفض جسدها كله بمنتهى العنف ، عندما لمحته من مكمنها ، ينقض عليهم في بسالة مذهلة .

وفي أعماقها ، أيقنت أن القتال لن يستغرق سوى دقائق معدودة محدودة ، على أقصى تقدير .

القتال بين رجل .

وجيش ..

ولكن دوي الرصاصات توالى .

ودوي الانفجارات اتصل

ووقع حوافر الجياد على الرمال ، كان يعني أنه مازال يقاوم ..

ويصمد ..

ويقاتل ..

ولقد بهرها هذا بحق ..

بهرها على نحو لم يحدث من قبل قط .

وعلى الرغم من هذا ، فهي لم تفقد يقينها ، من أنه هالك لا محالة ..

كان الأمر بالنسبة لها منطقيًا

وإلى أقصى حد ..

فرجل واحد ، مهما بلغت قوته ، يمكن أن يهزم فريقًا من خمسة رجال .

أو ستة .

أو حتى عشرة ..

ولكن من المستحيل ، والمستحيل تماما ، أن يهزم جيشًا .

ولكن الدوي طال ..

وطال ..

وطال ..

وكل الأصوات كانت توحي بأن القتال يتصل

ويتصل .

ويتصل ..

وتحوّل انبهارها إلى ذهول

مستحيل أن يكون هذا حقيقة !!

أي رجل هذا ؟!

أي رجل ، ذلك الذي يواجه جيشًا كاملاً ، من الرجال والقتلة ..

ويهزمه ..

أو على الأقل ، يصمد أمامه لكل هذا الوقت

ولأول مرة ، منذ بدأ القتال ، بدأ يراودها تساؤل ، لم يدر بخلدها قط من قبل ..

ترى هل يمكن أن ينتصر ؟!

هل ؟!

ومع تساؤلها ، سمعت دوي الانفجار الأخير العنيف ، ولكن من بعيد ..

ثم سمعت صوت سيارة (جيب) تقترب من المطعم ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم تتوقف على مسافة ثلاثة أمتار منه فحسب .

وانكمشت (جوليا) في مكمنها أكثر وأكثر ، وراح جسدها يرتجف بمنتهى العنف ، ووقع أقدام ثقيلة يواصل الاقتراب منها ، مع دوي رصاصات يأتي من بعيد ، و ...

وفجأة ، كشف أحدهم بقايا المقعد المحترق ، الذي أخفى به (أدهم) مدخل المخبأ الصغير ..

وشهقت (جوليا) في رعب ، وهي تحدق في وجه (رودريجز) ، الذي ابتسم ابتسامة ظافرة واسعة ، برزت معها أسنانه الصفراء الكبيرة القذرة ، وهو يقول

- مرحبًا يا جميلتي ... كنت أعلم أنني سأجدك هنا .

ودارت عينا الروسية الحسناء في محجريهما ، وغامت الدنيا أمامها ، و ...

وهوت فاقدة الوعي ..

وفي نفس هذه اللحظات ، كانت سيارة (أدهم) الجيب قد تلقت موجة الانفجار كلها في جانبها ، فاختل توازنها ، وانقلبت براكبها في عنف

ومن بعيد ، صرخ قائد (الجيب) الثانية :

- ها ... لقد سقط في قبضتنا

ومع صرخته ، أطلق باقي الجنود صرخات همجية ظافرة ، ولوحوا بمدافعهم الآلية ، وهم ينطلقون خلف (الجيب) الثانية نحو (الجيب) المقلوبة .

وبإرادة فولاذية ، قاوم (أدهم) ذلك الدوار ، الذي يهاجم عقله وكيانه في عنف ، وراح عقله المنتهك يعيد ترتيب الموقف كله ، على ضوء المعطيات الجديدة ، وأدرك أن موقفه دقيق وعسير بالفعل

وإلى أقصى حد ..

فها هو ذا ، ملقى إلى جوار سيارة مقلوبة ، وتنقض عليه سيارة جيب قوية ، خلفها أكثر من عشرين فارسًا مسلحًا بالمدافع الآلية

وبمعادلة بسيطة ، يتضح أن احتمال نجاته يساوي صفرًا ..

على أفضل تقدير ..

ولكن لا ..

لا يمكنه أن يستسلم قط .

لقد قطع شوطاً طويلاً بالفعل ، وتجاوز مرحلة شبه مستحيلة ، ولا يمكن أن يتوقف الآن .

أبداً ..

كانت (الجيب) ، والفرسان من خلفها يقتربون ،

ويقتربون ..

ويقتربون ..

وعليه أن يجد الوسيلة المناسبة

لـ ...

وفجأة ، قفزت الفكرة إلى ذهنه

صورة كاملة ، ارتسمت فى رأسه ، وكأنما ألقاها إليه الوحى بغتة ، ودون أية مقدمات .

وبنظرة سريعة ، أحصى المدافع الآلية ، داخل الجيب المقتربة ..

ثلاثة مدافع آلية ، بقيت نصف ذخيرته

ولكنها تكفى ..

وبسرعة ، ودون أن يضيع لحظة واحدة ، التقط أقرب المدافع الآلية إليه ، ودفع مؤشره ، لينقله من حالة الإطلاق المتصل ، إلى الإطلاق الفردى ، رصاصة رصاصة ، وهو يغمغم :

ـ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة . بإذن الله (سبحانه وتعالى) (*) ..

ثم رقد على بطنه ، وأسند كعب المدفع الآلى إلى كتفه ، وصوبه إلى إطارات الجيب ، التى تنطلق نحوه ، وتقترب بسرعة أكثر

وأكثر ..

وأكثر

(*) بسم الله الرحمن الرحيم { كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله } صدق الله العظيم . الآية ٢٤٩ (م) من سورة البقرة ـ القرآن الكريم

والتقط (أدهم) نفسًا عميقًا ، ثم كتم أنفاسه ..

وضغط زناد المدفع الآلى .

وانطلقت رصاصات المدفع الآلى، واحدة بعد الأخرى ..

ونسفت الرصاصات إطار الجيب الأمامى ، فاختل توازنها فى عنف ، وصرخ قائدها فى ذعر ، وهو يفقد سيطرته عليها :

- لقد فقدتها .

ومع صرخته ، انقلبت السيارة ، وقفزت فوق الرمال ، لتتدحرج فى عنف ، وتسحق ثلاثة من ركابها تحتها ..

وجن جنون الفرسان ، مع رؤية ما أصاب زملاءهم فى (الجيب) ، فراحوا يصرخون ، ويحثون جيادهم على الإسراع أكثر ..

وفى تماسك مدهش ، على الرغم من دقة الموقف ، انتظر (أدهم) اقترابهم ، وهو يصوب المدفع إلى خزان وقود (الجيب) الثانية المقلوبة

وعندما أصبح الفرسان إلى جوارها ، ضغط زناد المدفع مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وأصابت رصاصاته الثلاث هدفها .

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، أطاح بخمسة من الفرسان دفعة واحدة ، وألقى الوقود المشتعل على الباقين ، ونشر بينهم موجة رهيبة من الذعر والاضطراب .

وأدرك (أدهم) أن ذخيرة المدفع الذى يحمله قد نفدت عن آخرها ، فألقاه جانبًا ، والتقط المدفع الثانى ، وصوبه إلى الرجال فى إحكام .

وأطلق النار ..

ومع كل رصاصة يطلقها ، كان يسقط أحد الفرسان ..

والعجيب أنه ، وعلى الرغم من دقته المدهشة ، ومهارته المذهلة فى التصويب ، لم يصب واحدًا منهم فى مقتل .

لقد أطلق رصاصاته على السيقان والأكتاف

ومن جنون الرجال ، و ...

وفجأة ، انبعث صوت (رودريجز) ، عبر أجهزة الاتصال اللاسلكية ، وهو يقول بلهجة آمرة صارمة :

- انسحاب كامل .. القتال انتهى .. احملوا جرحاكم ، وعودوا فورًا .

وعلى الرغم من غضب الرجال وثورتهم ، فقد أطاعوا قائدهم وحملوا جرحاهم ، وتراجعوا منسحبين ، وهم يطلقون سبابًا مكسيكيًا غاضبًا ، أفرزه شعورهم بالخزى والعار ؛ لأنهم قد انهزموا هزيمة منكرة .. لأول مرة فى حياتهم ..

وأمام رجل واحد ..

ومن بعيد ، وعلى الرغم من تلك الهزيمة ، تألقت عينا (رودريجز) فى ظفر ، وهو يقول

- عبقرى هو ذلك المصرى .. أليس كذلك يا فاتنتى ؟!

لم تفهم (هوانيا) حرفًا واحدًا ، من عبارته التى نطقها بالأسبانية ، فغمغمت فى توتر :

- إننى أتحدث الروسية والإنجليزية فحسب

أجابها بالإنجليزية :

- يا للخسارة .. فالفاتنات أمثالك يصبحن أكثر سحرًا ، عندما يتحدثن الأسبانية .

ثم خلع منظاره ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

- ولكنك ، وأيًا كانت اللغة التى تتحدثين بها ، تبدين بالنسبة لى جميلة جميلات الكوكب ، ما دمت الجوهرة الرابعة ، التى سيوقع ذلك المصرى فى قبضتنا .

هتفت مذعورة :

- أنا ؟

ابتسم ، قائلاً :

- بالتأكيد يا عزيزتي .. بالتأكيد

ثم تلاشت ابتسامته ، وهو يسألها بغتة ، في صرامة قاسية

- ما اسمك يا امرأة ؟!

انكمشت في مقعدها ، وهي تجيب

- (هوليا) .

التقط المكبر الصوتي ، وصاح عبره في صرامة :

- يبدو أنك تتصور أن انسحابنا هذا يعني انتصارك يا سيد (أدهم) .. لو أنك تتصور هذا ، فأنت مخطئ تماماً .

انتبه (أدهم) بحواسه كلها إلى كلمات (رودريجز) ، الذي تابع في سخرية :

- فالواقع أننا ننسحب ، لأننا لم نعد بحاجة لمطاردتك

وانطلقت من حلقه ضحكة عالية مجلجلة ، قبل أن يضيف :

- أنت ستأتي إلينا

انعقد حاجبا (أدهم)، وهو يتساءل عما تعنيه العبارة ، ولكن تساؤله لم يطل ، إذ أكمل (رودريجز) في سخرية ظافرة :

- لتستعيد (هوليا) الحسناء على الأقل .

قالها ، وأطلق ضحكة أخرى مجلجلة ، قبل أن يشير إلى رجاله ، بالعودة إلى قمة (السور) ، ثم يلتفت إلى طاقم الدبابة ، قائلاً :

- لم تعد لديه وسيلة للتنقل سوى قدميه ، وأسلحته كلها تقتصر على بقايا ذخيرة المدفع الآلية

والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف :

- إنه لنا .

هتف قائد طاقم الدبابة :

- أوامرك يا كولونيل .

ثم أشار إلى رجاله ، قبل أن يهبط داخل الدبابة ، ويغلق كوتها في إحكام

وعبر صحراء (المكسيك) ، المنبسطة إلى ما لانهاية ، في كل الاتجاهات ، انطلقت الدبابة تطارد رجلاً واحدًا .

رجل اسمه (أدهم) ..

(أدهم صبري) ..

* * *

« الأمريكيون رفضوا تزويدنا ، بصور الأقمار الصناعية .. »

نطق مدير المخابرات العامة المصرية العبارة ، في غضب واضح ، وهو يجلس على قمة مائدة الاجتماعات الرئيسية ، ويتطلع إلى كبار رجاله ومعاونيه ، قبل أن يتابع :

ـ لقد أخبرناهم رسميًا مدى أهمية الأمر ، ولكنهم أنكروا في البداية ، أن الأقمار الصناعية تمر بهذه المنطقة ، من صحراء (المكسيك) ، وعندما واجهناهم

بمعلوماتنا المؤكدة ، عن مسارات أقمارهم الصناعية ، رفضوا بشدة معاونتنا ، بأي حال من الأحوال ، بحجة أن هذا يدخل ضمن أسرارهم العسكرية

غمغم أحد معاونيه :

ـ هذا دأبهم دومًا .

وقال آخر في غضب :

ـ لو أن الإسرائيليين هم الذين طلبوا هذا ، لاستجاب لهم الأمريكيون فورًا .

أشار المدير بيده في صرامة ، قائلاً :

ـ دعك لا تنزلق إلى مناقشة هذا الأمر .

وعاد يدير عينيه في وجوههم ، مستطردًا :

ـ المهم هو مصير (ن ـ ١) .

قال معاونه ، وهو يشير إلى الخريطة الكبيرة :

ـ الخبراء أعدوا دراسة مصير سقوط الطائرة الروسية ،

وانتهوا إلى تحديد نقطة سقوطها بدقة أكثر، دون الحاجة إلى صور أقمار التجسس الأمريكية، ولقد قمنا بجمع كل المعلومات الممكنة عن الجنرال المكسيكي المنشق (ألنزو)، ولدينا خريطة مفصلة الآن، لقلعته السرية، التي أقامها في قلب صحراء (المكسيك).

تساءل أحد الرجال:

- وماذا عن فكرة الاستعانة بدونا (كارولينا) ؟!

أجابهم المدير شخصيًا

- لقد أجرينا اتصالاً مباشرًا معها، وأكدت أنها ستتحرك فورًا؛ لإنقاذ (ن - ١)، مهما كلفها الأمر.

هتف أحدهم:

- عظيم.

وغمغم آخر في توتر:

- فكرة التعاون مع منظمة (المافيا) لم تكن تروق لي، ولكن من الواضح أنها قد أتت بثمارها

أجاب المدير في صرامة:

- دونا (كارولينا) ستفعل ما بوسعها، ولكن خبراءنا يؤكدون أنه مهما بلغت سرعة تحركاتها، فلن يمكنها أن تصل بقواتها ورجالها، إلى موقع قلعة (ألنزو)، قبل خمس ساعات كاملة، وهذا يعني أن (ن - ١) سيواجه ذلك الجيش الشرس المسلح، لخمس ساعات أخرى.

غمغم أحد الرجال في خفوت:

- لو أنه ما زال على قيد الحياة

وعلى الرغم من خفوته، فقد التقطته أذن المدير، الذي تراجع في مقعده، وهو يقول في صرامة

- فلتأمل هذا، وإلا فسيصبح كل ما نفعله بلا فائدة.

لم يكد يتم عبارته، حتى دلف مسئول الاتصالات والشفرة إلى حجرة الاجتماعات، واتجه إلى المدير مباشرة، ووضع أمامه برقيتين، وصلتا منذ لحظات، ثم همس في أذنه ببضع كلمات، قبل أن ينصرف في سرعة.

وفي اهتمام بالغ، طالع المدير البرقيتين، قبل أن يرفع عينيه إلى الرجال، الذين اشتعلوا باللهفة والفضول، قائلاً:

- دون (كارولينا) انطلقت مع فريقها بالفعل، إلى صحراء (المكسيك).

هتف أحدهم:

- حقاً؟!

تابع المدير في حزم، دون أن يتوقف عند هذا التعليق:

- من الواضح أن صداقتها لـ (ن - ١) تتجاوز كل ما توقعناه.. لقد حشدت الزعيمة الروحية لمنظمات (المافيا) جيشاً ضخماً من أجله، وتقول في برقيتها إنها ستسعى لإنقاذه، حتى لو اضطرت إلى احتلال (المكسيك)، وضمها إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

ابتسم أحد الرجال، قائلاً:

- لو سربنا هذه البرقية إلى (المكسيك)، فسيهرع الشعب كله هناك خلفها، على أمل أن تنفذ وعدها(*).

وقال آخر:

- المهم أن تصل في الوقت المناسب.

تردد ثالث، قبل أن يقول:

- هذا بافتراض أن سيادة العميد (أدهم) مازال..

قاطعه المدير في حزم:

- إنهم لم يظفروا به بعد.

انعقدت العيون كلها إليه، فالتقط البرقية الثالثة، قائلاً:

- هذا ما تؤكده هذه المعلومات، الواردة من أحد هواة الاتصال اللاسلكي في (المكسيك)، والذي التقط

(*) تؤكد الإحصائيات الرسمية، أن أضخم عدد من المهاجرين غير الشرعيين، إلى الولايات المتحدة الأمريكية، يأتي من (المكسيك)، حيث تتم سنوياً ملايين المحاولات لعبور الحدود، والعيش في (أمريكا)، ويبلغ عدد الحالات، التي تنجح في هذا، ما يزيد على الستين ألف حالة سنوياً (من الناحية الرسمية)

مجموعة من الاتصالات ، من منطقة الصحراء ، توحي بأن جيشًا ما يطارد رجلاً واحدًا

ثم تراجع في مقعده ، مضيفًا بابتسامة خافتة

- من يمكن أن يكون ذلك الرجل في رأيكم ؟!

ران عليهم جميعًا صمت ثقيل ، قبل أن يغمغم أحدهم :

- جيش كامل يطارده .

أشار المدير إلى البرقية ، قائلاً

- ذلك الهاوي يقول إن الاتصالات توحي بأنه يثير جنونهم ، على الرغم من تفوقهم العددي .

هتف أحد رجال المخابرات في حماسة :

- إنه هو .

وتنهد الآخر في ارتياح ، قائلاً :

- سيادة العميد (أدهم) وحده ، يمكنه أن يفعل هذا .

قال المدير في صرامة :

- إلى متى ؟!

استدارت العيون كلها إليه مرة أخرى ، فتابع بمنتهى الحزم :

- كل شيء يؤكد أن (ن - ١) لم ينل مصرعه ، مع سقوط الطائرة الروسية ، على الرغم من اشتعالها في الجو ، وأنه يواجه الآن جيش الجنرال (ألتزو) بمفرده ، ولكن أرض المعركة ، كما تقول كل الخرائط ، عبارة عن صحراء شاسعة منبسطة ، فإلى متى يمكن أن يصمد ويقاتل رجل واحد ، ضد جيش كامل ، في ساحة كهذه ؟!

ولم ينطق أحدهم بحرف واحد ..

فالسؤال لم يكن يحتمل أي جواب ..

إنه سيبقى فحسب كسؤال ..

إلى متى يمكن أن يصمد (أدهم صبري) ؟!

إلى متى ؟!

* * *



٥ ـ مسألة وقت ..

احتقن وجه الجنرال (كنزو) في شدة ، وحمل صوته وملامحه كل ما يحتمل في نفسه من غضب وثورة ، وهو يصرخ في وجه (رودريجز) :

ـ انتصار ؟! أي انتصار هذا الذي تتحدث عنه يا كولونيل .. لقد خرجت على رأس جيش صغير ، مكوّن من خمسين رجلاً ، وثلاث سيارات جيب ، ودبابة ، ومدفع ميدان ، للقضاء على رجل واحد ، ثم عدت بعشرين رجلاً ، نصفهم مصابون ، وسيارة جيب واحدة ، ومدفع ميدان تحطمت مقدمته ، ثم تسمي هذا انتصاراً .

جذب (رودريجز) (هولب) في خشونة ، قائلاً :

ـ وعدت بهذا أيضاً .



جذب (رودريجز) العربي في خشونة، قائلاً:
- وجدت بعضه أيضاً.

صاح (فنتزو) في ثورة:

- مضيفة روسية؟! أهذا ما تزهو به يا كولونيل؟! هل خسرت كل هذا، لتفوز بامرأة حسناء فحسب؟! إنها لا تساوي حتى ثمن الدبابة، التي تركتها خلفك هناك!

قال (رودريجز) في صرامة:

- الدبابة تركتها لتطارد ذلك المصري، في قلب صحرائنا.. وهو خصم غير عادي، وغير تقليدي، كما علمنا منذ البداية، ومستر (X) حذرنا من أن المواجهة لن تكون بسيطة أبدًا، ولو أنك راجعت ملف ذلك المصري، كما فعلت أنا، لأدركت له

احتقن وجه (فنتزو)، وهو يقاطعه في حدة

- ماذا تقول يا كولونيل؟! أليست تلك وسيلة للفشل، لتبرير هزيمتك المنكرة؟!

انتقل الاحتقان إلى وجه (رودريجز)، وهو يقول في غضب:

- إنك لم تر كيف يعمل ذلك الرجل يا جنرال!

صاح (ألفرو) ، وهو يلوّح بيده في ثورة :

ـ إنه مجرد رجل واحد ..

« رجل بألف رجل يا جنرال . »

نطقت (لورا) العبارة في هدوء ، وهي تنفث دخان سيجارتها في عمق ، فالتفت إليها (ألفرو) ، وهو يقول في حدة :

ـ سيدتي .. سأحمل لك الكثير من الامتنان ، لو واصلت صمتك المهذب ، وتركت مناقشة أمور الحرب لنا .

ابتسمت (لورا) ، قائلة في عذوبة .

ـ بالتأكيد يا جنرالي العظيم .. الاستماع إليك متعة كبيرة ، لا يصح أن أفسدها بكلماتي الحمقاء

حدّق (رودريجز) فيها بدهشة ، وتساءل في أعماقه في سخط : أي أحمق يمكن أن تخدعه كلمات معسولة كهذه ، ولكنه فوجئ بابتسامة كبيرة ، ترتسم على شفتي الجنرال (ألفرو) ، وهو يقول :

ـ كلماتك ليست حمقاء أبدًا يا جميلة الجميلات ،

ولكن النساء لا يفهمن كثيرًا شئون الحرب والقتال .

لوّحت بأصابعها في رقة ، قائلة :

ـ بالطبع يا جنرالي .. هذا نتركه للرجال الأقوياء أمثالك .

ثم مالت إلى الأمام في بطء ، مستطردة بابتسامة ساحرة :

ـ ولكن صدقني .. أنا أعرف (أدهم صبري) هذا ، أكثر مما يعرفه أي واحد منكم .

وخفضت صوتها ، لتضيف بلهجة خاصة :

ـ وهو أخطر مما تتصوّر بكثير .

بحّ صوته ، وهو يقول في انفعال :

ـ حقًا ؟!

تراجع (رودريجز) في دهشة ، مع التأثير القوي ، الذي أحدثته (لورا) في الجنرال ، في حين اعتدلت هي على مقعدها ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة واثقة ، وهي تقول :

ـ إنها ليست أول مرة يفعل فيها هذا .. لقد واجه منظمات كاملة ، وسحقها سحقًا بمفرده .

عقد الجنرال (أنتزو) حاجبيه أكثر :

ـ هل فعلها حقًا ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، قبل أن تقول في حزم :

ـ ولا توجد سوى وسيلة واحدة للسيطرة عليه .

سألها (أنتزو) في لهفة :

ـ وما هي ؟!

تراجعت لتسترخي في مقعدها ، ونفثت دخان سيجارتها ، في بطء وعمق ، قبل أن تشير إلى (هولنا) ، قائلة :

ـ هذه المرأة ، التي أحضرها الكولونيل (رودريجز)

لم تفهم (هولنا) حرفًا واحدًا ، من الحديث الذي تبادلوه بالأسبانية طوال الوقت ، ولكنها لم تكد ترى سبابة (لورا) تشير إليها ، حتى ارتجفت في رعب ، وانكمشت في مكانها ، مرتعدة في عصبية :

ـ ماذا تريدون مني ؟! أنا لم أفعل شيئًا .

ولكن الجنرال (أنتزو) التفت إليها ، قائلًا :

ـ حقًا ؟! أهذه المرأة ، التي أحضرها الكولونيل ، هي أقوى سلاح يمكن أن نواجه به ذلك المصري ؟!

انعقد حاجبا (رودريجز) ، في دهشة متوترة ، عندما غمزت له (لورا) بعينها ، ومنحته ابتسامة ساحرة ، مع ابتعاد بصر الجنرال (أنتزو) عنها ، وبدا عليه التوتر ، وهو يقول :

ـ هذا ما أردت شرحه يا جنرال ، فالنقطة الضعف الوحيدة ، في شخصية ذلك المصري ، هي اهتمامه الزائد بالآخرين ، وسعيه الدائم لإنقاذهم ، إذا ما تعرَّضوا للخطر .

بدا الشك على وجه (أنتزو) ، وهو يقول :

ـ ولكنه لم يعرف هذه المضيفة الروسية ، إلا منذ ساعات قليلة .

قالت (لورا) ، وهي تنفث دخان سيجارتها في هدوء :

ـ لن يمنعه هذا من المجازفة بحياته من أجلها

ثم عادت تميل إلى الأمام ، مضيفة :

ـ وعندما يلحق ، سنكون في انتظاره هنا

نقلت (جوليا) بصرها بينهم ، قبل أن تهتف في انهيار :

ـ ماذا تريدون مني ؟!

فأدارت (نورا) بصرها إليها ، وقالت بالروسية ، في صرامة مخيفة :

ـ اصمتي .

فانكمشت (جوليا) في مكانها ، بكل رعب الدنيا ، في حين انعقد حاجبا (رودريجز) في شدة ، وهو يرمق (نورا) المتصممة بنظرة عصبية ، وظل الجنرال (ألنزو) صامتا ، يفكر في عمق ، قبل أن يقول في حزم :

ـ فليكن .. سنستعد لمواجهة ذلك المصري

والتقط نفسا عميقا ، قبل أن يضيف :

ـ لو نجا من النهاية .

رفعت أحد حاجبيها وخفضته ، وهي تقول في لهجة ملؤها السخرية :

ـ تقصد لو نجت منه النهاية .

وانعقد حاجبا (رودريجز) أكثر وأكثر ..

فعبارتها الأخيرة لم ترق له أبدا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد انفجر في أعماقه تساؤل مخيف ..

ترى ماذا يحدث الآن ، في تلك المواجهة ، التي تدور في قلب صحراء (المكسيك) الشاسعة ، بين (أدهم) والنهاية ؟!

ومن سينتصر في النهاية ؟!

من ؟!

من ؟!

* * *

ارتسمت ابتسامة كبيرة ، على شفتي قائد طاقم النهاية ، وهو ينطلق بها على رمال الصحراء نحو الجيب

المطوية، التى أطلق (أدهم) منها رصاصاته، وهتف فى سخرية، وهو يصوّب مدفع الدبابة نحوها:

- فلنرَ ذلك المصرى المتحذلق، كيف سيواجهها برصاصاته الصغيرة هذه

قالها، ثم جذب ذراع الإطلاق

وانطلقت قذيفة الدبابة.

وبدوى هائل، انفجرت الجيب

ثم اشتعلت النيران فى بقاياها

وقهقه قائد الطاقم فى ظفر، صائحًا:

- يا للبساطة! لقد سحقنا ذلك المصرى بضربة واحدة

غمغم أحد أفراد الطاقم:

- إننا لا ندرى إذا ما كان هناك أم لا

انعقد حاجبا القائد، وهو يقول فى حدة.

- وأين سيذهب؟!

أجابه الرجل فى توتر:

- لو أنه رحل مبتعدًا عن الجيب، لما أمكننا رؤيته، من هذه المسافة

صمت القائد لحظات، وهو يدرس ذلك الاحتمال، قبل أن يشير إلى الرجل الثالث، قائلًا فى صرامة:

- افحص المنطقة جيدًا

جذب الرجل منظار الدبابة، ورفعه خارجها، وراح يديره فيما حوله، وهو يفحص المنطقة كلها..

كانت جثث فرسان (النزو) متناثرة، هنا وهناك، مع حطام (الجيب) الثانية وجثث بعض الجياد..

ووسط كل هذا، كان من العسير تمييز جسد (أدهم) بالذات.

لذا، فقد غمغم المراقب فى توتر:

- وكيف يمكننى معرفته، وسط كل تلك الجثث؟!

زمجر قائد الطاقم، قائلًا:

- إنه لا يرتدى زى أبناء الصحراء

مط الرجل شفتيه ، وهو يغمغم في عصبية :

- مع النظام الفني ....

بتر عبارته بشهقة مباغتة ، عندما لمح ظلاً يتحرك في سرعة ، أمام منظاره مباشرة ، فهتف به القائد

- ماذا هناك ؟!

صاح الرجل في حدة :

- إنه هنا .

اتسعت عينا الرجل الأول ، والقائد يهتف في عصبية .

- ماذا تعني بكلمة (هنا) هذه ؟!

هتف المراقب في ذعر :

- حولنا .

انعقد حاجبا القائد في شدة ، وهو يقول :

- حولنا ؟! ولكن كيف ؟!

أجابه الأول في عصبية :

- لقد زحف على الرمال ، من زاوية تعجز معها

عن رؤيته ، حتى دخل مجال عدم الرؤية ، حيث يمكنه أن يتحرك بحرية ، دون أن يمكننا رصده بدون مراقب خارجي(*)..

انتقل التوتر إلى قائد الطاقم ، وهو يقول :

- مستحيل ! لا يمكن أن تكون لديه كل هذه الخبرة ، في مواجهة الدبابات !! هذا يحتاج إلى العمل في .

قاطعه الأول في عصبية :

- إنه رجل مخابرات كما يقولون ، وأمثاله يتم انتقاؤهم في العادة ، من رجال العمليات الخاصة في الجيش(**)..

(*) لكل طراز من الدبابات مجال رؤية محدود ، بالنسبة للطاقم داخلها ، ومدفعها لا يمكنه التصويب ، على أهداف شديدة القرب ، وفي حالة تحركها في مكان ضيق ، يحتم أن يسير أحد أفراد طاقمها من حولها ، لرصد الأجسام القريبة منها

(**) جرت العادة ، في معظم أجهزة المخابرات في العالم ، على انتقاء العناصر المتميزة من صفوف الجيش ، بأفرعه المختلفة ، لضمهم إلى المخابرات ، حيث تفيد تدريباتهم الأولية على قدراتهم ، في مجال العمليات الخارجية بالتحديد ، ولكن هذا لا يمنع انتقاء بعض المدنيين المتفوقين ، للعمل تحت اللواء نفسه ، في ظروف خاصة

مع آخر حروف كلماته ، سمع ثلاثتهم في وضوح وقع قدمين قويتين ، وثبتا فوق الدبابـة ، فصـاح المراقب في ذعر :

ـ ها هو ذا .

صرخ فيه القائد :

ـ ولماذا يخيفك هذا ؟!

ثم عقد حاجبيه في شدة ، مضيفًا بكل الصرامة :

ـ سنلقيه أرضًا .

وأدار عجلة كبيرة أمامه ، مستطردًا :

ـ وبعنف .

مع إدارته للعجلة ، دار برج الدبابة حول نفسه ، بأقصى سرعة تسمح بها ميكنته ، وهتف الأول :

ـ هل تعتقد أنه لايدرك هذا ؟!

صاح به القائد في حدة :

ـ صمت يا رجل .

كان يحرك البرج ، في كل اتجاه ممكن ، دون أن تظهر بادرة واحدة ، توحي بتأثر هذا ، على خصمهم الذي اعتلى دبابتهم ، في جرأة مدهشة ..

وفي عصبية ، غمغم المراقب :

ـ هل سنتركه هكذا ؟!

انتفض القائد ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !

ثم التقط مدفعه الآلي ، مستطردًا في حزم :

ـ لن نسمح لرجل ، بالسيطرة على دبابة .. هذا لم يحدث من قبل قط .

صاح به الرجل الأول في ذعر :

ـ هل .. هل ستفتح كوة البرج ؟!

صاح به في غضب ، وهو يدير عجلة الكوة :

ـ كيف تتوقع مواجهتي له إذن ؟!

لتكمش المراقب في مكانه، قائلاً:

- بعدما رأيت كيف يعمل ذلك المصرى، لا أتمنى مواجهته أبدًا.

صاح به القائد في حدة:

- ماذا تفعل إذن أيها العبقرى

أجابه الأول في لهفة:

- نعود إلى القلعة.

توقف القائد، يسأله في دهشة.

- ماذا ؟!

أجابه الرجل، في انفعال أكثر:

- لقد رأيت مثلك كيف يعمل ذلك الرجل، ومن الواضح أنه ماهر بشدة، وإلا لما أمكنه اعتلاء دبابتنا، دون أن نشعر باقترابه منا، ولقد أخطأنا الكولونيل، عندما تركنا وحدنا لمواجهته.. كان من الضرورى أن يكون هناك مراقب خارجى؛ لمنعه من بلوغ هذا الموقف الشاق، الذى سيطر فيه علينا، وجعلنا نخشى مجرد الخروج لمواجهته.

ثم مال إلى الأمام، ولهث من فرط الانفعال، وهو يتابع:

- ولو جازفت بالخروج، فقد يباغتنا هو بهجوم عنيف، أو بقنبلة يلقيها عبر فتحة البرج، لينسف عن آخرنا، أما لو عدنا إلى القلعة، وأبلغنا الرجال هناك لاسلكيًا، لانتظار قدومنا، لن يكون أمامه سوى أن يقفز بعيدًا عن الدبابة، وعندئذ يمكننا رصده داخليًا، واصطياده بالمدفع الآلى، أو نسفه بمدفع البرج، أو أن يختفى، فيرصده الرجال عند القلعة، ويحصدونه برصاصاتهم

بدت كلماته منطقية تمامًا، حتى إن القائد الظالم قد تراجع إلى مقعده، وجلس يفكر بضع لحظات، قبل أن يقول في صرامة.

- القول قولك.

ثم أشار إلى الأول، مستطردا

- أبلغ الرجال بالموقف كله، عبر جهاز الاتصال

بالاسلكي ، ولأخبرهم أننا سنعود إلى القاعدة فورًا ، أما أنت أيها المراقب ، فلا أريد لعينك أن تغفل لحظة واحدة ، حتى يمكنك رصد ذلك المصري ، إذا ما وثب عن متن الدبابة .

قالها ، وأدار دفة الدبابة ، لينطلق بها مرة أخرى على الرمال ، عائدًا إلى القاعدة .

قاعدة الجنرال (ألنزو) ..

وعلى متن الدبابة ، ذات الطراز العتيق ، كان (أدهم) يعيد دراسة الموقف كله مرة أخرى ، وهو يدرك جيدًا ، مع المسار الذي اتخذته الدبابة ، أنه لم يعد أمامه سوى خيارين ، كلاهما مر كالعلقم .

وصمت كالدهر ..

أو أشد عمقًا ..

* * *

ثم بدأ رنين هاتف (كارلو فيتجي) ينطلق ، حتى

التقطه بحركة سريعة ، وألقى نظرة على الرقم الذي سجلته شاشته ، قبل أن يضغط زر الاتصال ، قائلًا في حماسة واحترام :

- مرحبًا يا دونا .. كل شيء يسير كما أمرت تمامًا .. حتى داخل الطائرة بالفعل ، مع جيش من رجالنا ، وقد عبرنا صحراء (أريزونا) بالفعل ، وسنتجاوز حدود (المكسيك) خلال دقائق ، و ....

قاطعته بصرامة مقلقة :

- ما الأمر الثاني يا (كارلو) ؟!

بدت عليه الدهشة ، وهو يغمغم في حذر :

- أي أمر ثانٍ يا دونا ؟!

سألته بنفس الصرامة :

- عندما بدأ كل هذا ، أخبرتني أنه لديك أمران ، خارج التقارير الرسمية ، ولكنك لم تخبرني بالأمر الثاني بعد .

شعر (كارلو) بالدهشة ؛ لأن دونا تتذكر أمراً كهذا ، فى ظروف كهذه ، ولكنه تنحنح ، قائلاً :

- لابأس يادونا .. يمكن لهذا أن ينتظر ، حتى

قاطعته بصرامة عصبية :

- وما الأمر الذى يا (كارلو) ؟!

أدرك من لهجتها مدى إصرارها على معرفة ما لديه ، فتنحنح مرة أخرى ، وقال :

- لكن يا دونا .. الواقع أنها مجرد شكوك ، دون دليل واحد

قالت فى غضب :

- أخبرنى ما لديك ، واترك لى مهمة تقييمه .

تردد لحظة ، وقال فى سرعة ، محاولاً ألا يغضبها :

- هناك ما يوحى بوجود ثقب فى خزانة أسرارنا يا دونا .

صمتت طويلاً ، وكأنما صدمها هذا ، قبل أن تسأله فى صرامة ، شأنها عما يعمل فى أعمالها :

- هل علمت لحساب من ؟!

أجابها فى حذر

- تحرياتى لم تكتمل بعد يا دونا .

صمتت طويلاً مرة أخرى ، على نحو يوحى بأنها تجرى بعض الحسابات فى ذهنها ، قبل أن تقول فى صرامة عصبية :

- عندما ننتهى من عملية (المكسيك) هذه ، أريد منك أن تضع هذا على رأس أولوياتك .

قال فى حزم :

- بالتأكيد يا دونا .. بالتأكيد .

صمتت لحظة أخرى ، ثم قالت فى توتر :

- من الواضح أن عدد الطامعين فى اللقب يتزايد ، على نحو مخيف .

قال في حزم أكثر :

ـ لن تتخلى عنه يا دونا

قالت في صرامة :

ـ هذا يجعل عملية إنقاذ (أدهم) أكثر خطورة .

لم يدر سببًا منطقيًا ، لربط هذا بذاك ، ولكنه غمغم في حذر :

ـ عما تتحدثين يا دونا

قالت بنفس الصرامة :

ـ لقد استأجرت طائرة نفاثة ضخمة ، حتى يمكنني اللحاق بكم في (المكسيك)

قال في قلق شديد :

ـ لست أجد داعيًا ، لتعريض نفسك شخصيًا ، لمواجهة كهذه يا دونا .

قالت في سرعة :

ـ (أدهم) يستحق هذا .

وعادت إلى صمتها بضع لحظات ، ثم أضافت في حزم :

ـ ولكن تركك (نيويورك) ، في ظروف كهذه ، هو منتهى الحماقة بحق .

قال ، دون أن ينتبه إلى كلماته :

ـ هذا صحيح .

أدهشه أن نطق هذا القول ، الذي تصور أنه سيغضبها إلى حد الجنون ، فهمّ بالاعتذار بسرعة ، لولا أن سبقته هي ، قائلة :

ـ إذن ، فسأعود إلى (نيويورك) فورًا .

تنفس الصعداء ، وهو يقول :

ـ قرار حكيم يا دونا

لاذت بالصمت لدقيقة كاملة ، شعر خلالها بقلق هائل ، قبل أن تقول ، بكل توتر وصرامة الدنيا :

ـ ابذل حياتك لو اقتضى الأمر يا (كارلو) ، حتى يظل (أدهم) سالمًا .

قال في حزم :

ـ سأفعل يا دونا .

أنهى الاتصال على الفور ، فأضاف هو في خفوت :

ـ لو وجدناه على قيد الحياة

وكانت هذه هي المشكلة الحقيقية .

أن يجدوه ..

وعلى قيد الحياة ..

* * *

بكل الاهتمام والانتباه ، استمع مستر (x) إلى حديث (لورا كيلرمان) ، وهي تقص عليه تفاصيل ما حدث ، في الساعات الأخيرة ، عبر شاشة جهاز الاتصال الخاص ، الذي حملته معها في رحلتها ، حتى انتهت من روايتها ، وهي تلوّح بكفها ، قائلة :

ـ وهكذا تم إعلان حالة الطوارئ الكاملة في القمة ، والكل ينتظر عودة الدبابة ، التي يقودها (أدهم) ، وأوامر

(رودريجز) تحتم نسفها ، لو اقتضى الأمر ، على ألا يخرج رجلنا من هنا حيًا يرزق

صمت (x) طويلاً ، على نحو يوحي باستغراقه في تفكير عميق ، قبل أن يقول في بهجة عجيبة ، لم تستطع فهم ما تحويه من تفاؤل :

ـ سيأتي

قالت متسائلة :

ـ ماذا ؟!

ارتفع صوته ، وهو يقول في صرامة :

ـ (أدهم صبري) سيأتي

اعترضت ، قائلة في حيرة :

ـ الكل هنا يعلم هذا !

جاء دوره ليميل إلى الأمام ، قائلاً :

ـ سيأتي من حيث لا يتوقعه أحد

لهثت فى انفعال ، وهى تسأله .

ـ هل تعتقد هذا ؟!

بدا الاهتمام شديد الوضوح ، فى نبرات صوته القاسية ، وهو يقول :

ـ (أدهم) ليس غبيًا .. إنه محترف ، ويدرك ما يفعله جيدًا والأقوى أنه يدرك أيضًا كيف يفكر الآخرون ، وهو لن يأتى أى فعل أخرق ، ما لم يخف خلفه خطة بارعة ، إلى درجة لا يمكن أن يتصوّرها أحد

اتسعت عيناها عن آخرهما فى انبهار ، قبل أن تتراجع فى مقعدها ، وتنفث دخان سيجارتها ، قائلة .

ـ بدأت تثير انبهارى بذلك المصرى

تجاهل تمامًا عبارتها الأنثوية ، وهو يقول :

ـ ومهما فعلوا ، أو اتخذوا من احتياطات ، فسيصل (أدهم) إلى القلعة حتمًا .

هتفت :

ـ كم أتمنى رؤية هذا يحدث .

صمت لحظة ، ثم قال فى صرامة

ـ لن تشاهديه أبدًا .

اعتدلت فى مقعدها ، قائلة فى حدة ،

ـ ماذا تعنى يا مستر (X) ؟!

أجابها فى صرامة أكثر :

ـ سترحلين على الفور ،

اتسعت عيناها فى دهشة بالغة ، وظلت فى حالة الانفصال بعض الوقت ، قبل أن تقول فى عصبية

ـ كنت أظن أنك قد صنعت كل هذه الفلسفة ، لتسهل تجنيدهم فى القضاء على (أدهم صبرى) هذا

أجابها فى خشونة

ـ بالضبط .

ثم أضاف فى قسوة

ـ وسترحلين الآن

كانت تثور على أوامره، وتتجادل معه في نقاش عنيد طويل، إلا أنها أدركت أن هذا سيجعل موقفها أكثر ضعفًا، عندما تضطر للاستسلام في النهاية، فتراجعت، قائلة في عصبية

- فليكن.

تراجع بدوره في مقعده، قائلاً

- عظيم.

وصمت لحظة، ثم أضاف.

- والآن، هل ترين الحليتين الذهبيتين، اللتين تحملان رمز (X)، على جانبي جهاز الاتصال ؟!

لفتت بصرها بين الحليتين، قائلة

- بالتأكيد

قال في حزم آمر

- اضغطيهما معًا

أطاعته في حذر، ولم تكد تضغط الحليتين معًا

حتى برز الجزء السفلي من جهاز الاتصال إلى الخارج، وشهقت هي، هاتفة:

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابها في سرعة وحزم

- هذا سبب ثقل جهاز الاتصال، الذي تصورتم جميعًا أنه يعود إلى آلياته المتقدمة

سألته في عصبية:

- وما هو ؟!

أجابها في بطء

- (سى - ٤)*

شهقت مرة أخرى، صائحة

- هل كنت تحمل قنبلة ؟!

(*) (سى - ٤) (C 4) : مفجر لدن، سهل التشكيل له لون [illegible] شديد الثبات، يذوب في مادة (الأسيتون)، و (الإيثير) والكحول، ولكنه يحتاج إلى مفجر مباشر، وهو يتكون من أربع مواد (RDX) و(Poly iso Butylene) و(Diethyl Hexyl) و(Motor Oil) ومن هنا جاءت إضافة رقم (٤) إلى اسمه

قال في ظفر مزهو :

ـ ليس قنبلة فحسب . وإنما ما يكفي لتحويل قلعة الجنرال (أوترو) ، بكل ما فيها ومن فيها ، إلى كومة من التراب ، خلال لحظات معدودة محدودة

كزّت في غضب :

ـ وأنا أحملها طوال الوقت ؟

قال بلهجة آمرة :

ـ أعيدي الجزء السفلي إلى موضعه

كزّت بغضب هادر مستنكر :

ـ كنت أحمل قنبلة طوال الوقت ، دون أن تحاول تحذيري ؟!

صاح بكل صرامة الدنيا :

ـ أطيعي الأمر فورًا .

احتقن وجهها بشدة ، وهي تدفع الجزء السفلي من جهاز الاتصال ، لتعيده إلى موضعه ، قائلة في عصبية :

ـ هذه القنبلة كانت للتخلّص مني ، إذا ما لزم الأمر .. أليس كذلك ؟!

أجابها في هدوء عجيب :

ـ التخلّص منك لا يحتاج إلى كل هذه الكمية من الـ (سي ـ ٤) ، يا عزيزتي (لورا)

قالت في حدة :

ـ لماذا كنت تحملها إذن ؟!

أجاب في سرعة وحزم :

ـ لظروف كهذه

سألته في حدة :

ـ وماذا ستفعل القنبلة ، في ظروف كهذه ؟!

أجابها في اهتمام :

ـ خلال أقل من نصف ساعة من الآن ، وفقًا لما رأيت ، ولتقديراتي الشخصية ، سيصبح (أدهم صبري) داخل قلعة (أوترو) ، وسيكون القتال عنيفًا ، ومن

المحتمل جداً أن يستعيد تلك المضيفة الروسية ، على الرغم من كل ما سيتخذونه من احتياطات .

قالت بأنفاس مبهورة :

- أهو مدهش إلى هذا الحد ؟!

واصل في خشونة ، متظاهراً بأنه لم يسمعها :

- وعندئذ يحين دور القنبلة

اتسعت عيناها ، وهي تهتف :

- هل ستنسف القلعة ؟!

أجاب في سرعة :

- بكل ما فيها ، ومن فيها .

حدقت في الشاشة بضع لحظات في ذهول ، قبل أن تتراجع ، وتعقد حاجبيها في صرامة ، وهي تلقي سيجارتها أرضاً ، وتسحقها بقدمها في حدة ، قائلة :

- وماذا لو رفضت تنفيذ أوامرك هذه المرة ؟! هل ستتخلص مني أيضاً ؟!

قال في هدوء عجيب :

- لو أردت التخلص منك ، لما طالبتك بالرحيل فوراً

هزت كتفيها ، قائلة في عناد :

- وماذا لو بقيت ، وأخبرت (ألتزو) بالأمر كله ، و ..

قالتها في حزم ،

- سيكون هذا أكبر خطأ ترتكبينه ، في حياتك كلها

صاحت في حدة :

- هل تهددني مرة أخرى ؟!

استعاد هدوءه ، قائلاً :

- لم يعد هناك معنى للتهديد الآن ، فلو ضغطت ذلك الزر الأصفر ، من جهاز الاتصال ، لأدركت أن وقت المناقشة قد ولى بالفعل .

ترددت لحظة ، قبل أن تضغط ذلك الزر الأصفر ، ولم تكد تفعل ، حتى ظهر توقيت تنازلي ، في زاوية



حدقت في التوقيت التنازلي لحظة ، قبل أن تختطف حقيبتها الصغيرة ، قائلة :
سأفعل .. ولكنني لن أنسى هذا أبداً

الثالثة ، بقلب يضج بالقلق على الساعة ، ومستر (X) يتابع في هدوء مستفز :

ـ لقد أشعلت فتيل القنبلة بالفعل ، عندما أعدت الجزء السفلي إلى موضعه ، ولا توجد أية وسيلة معروفة لإيقاف عملها .. بل إن محاولة تحريك جهاز الاتصال الآن تكفى لنسفها فوراً

هتفت محنقة

ـ أيها الـ ...

قاطعها في صرامة :

ـ ارحلي يا (لورا) .. فوراً .

حدقت في التوقيت التنازلي لحظة ، قبل أن تختطف حقيبتها الصغيرة ، قائلة :

ـ سأفعل .. ولكنني لن أنسى هذا أبداً

ضحك قائلاً :

ـ ستنسين يا (لورا) .. الكل ينسى ، مادام النجاح يحالفنا

قالها، وانطلق يضحك ..

ويضحك

ويضحك

أما هي، فلقد تركت كل شيء خلفها، واندفعت خارج المكان كله، وهي تلوي نفسها في غضب:

- ستدفع الثمن يا (X).. أقسم أن تدفع الثمن

نطقتها، وعقلها يتساءل: كيف ستقنع (عمرو) برحيلها المفاجئ هذا؟!

كيف تبتعد عن حب، دون أن تثير شكوكه وحفيظته؟!

ونقلها هذا إلى سؤال آخر ..

سؤال أكثر أهمية ..

وأكثر خطورة

ترى هل ستتحقق خطة (X) بالفعل هذه المرة؟!

هل أمكنه تقدير الموقف كله، على نحو صحيح؟!

وماذا عن مسألة الوقت؟!

هل سيأتي (أدهم) بالفعل؟!

وهل سيكون داخل القلعة، عندما يحدث الانفجار، الذي سيسحق كل شيء، وكل شخص؟!

هل؟!

ويبقى سؤالها بلا جواب..

وبلا ملامح.. على الإطلاق

* * *

٦ ـ الثعلب ..

اتسعت عينا (هونيا) ، بكل رعب الدنيا ، وهي منكمشة في ركن زنزانتها الصغيرة ، تحدق في (رودريجو) الذي راح يتأملها بنظرة ذئب جائع ، وابتسامته المقيتة تملأ وجهه ، مع كلمته التي نطقها بالإنجليزية ، قائلاً :

ـ كنت في انتظار قدوم فارسك أيتها الحسناء

قالت بصوت مرتجف

ـ إنني لم أعرفه إلا منذ ساعات ، ولن يجازف بحياته من أجلي

اتسعت ابتسامته المقيتة ، وهو يقول :

ـ بل سيفعل

نطقها بثقة عجيبة ، جعلتها تغمغم :

ـ حقاً ؟!

أومأ برأسه إيجاباً ، وقال

ـ هذه نقطة ضعفه الكبرى ، فحتى لو لم يعرفك ، لبذل حياته من أجل إنقاذك .

لم تدر لماذا انتزعت كلماته كل الرعب ، الذي كاد يسيطر على روحها نفسها ، وهي تسترخي في مقعدها ، قائلة :

ـ هل يمكن أن يفعل ؟

أجاب بمنتهى الثقة والحزم

ـ إنها ليست أول مرة

استعاد عقلها كل ما فعله (أدهم) ، منذ سقطت بهم الطائرة ، فاسترخى جسدها كله ، واعتدلت في مجلسها ، وحمل صوتها رنة ارتياح ، وهي تقول :

ـ عظيم

انعقد حاجباه في شدة ، وهو ينظر إليها بصرامة مستنكرة ، فابتسمت ، وكأنها تتعمد استفزازه

ـ كل ما عليّ هو انتظاره إذن

قال في حدة :

ـ سيصل إليك جثة هامدة .

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ أشك .

اندفع نحوها فجأة ، وهوى على وجهها بصفعة قاسية ، جعلتها تطلق صرخة ألم مذعورة ، وهي ترتطم بالجدار ، وهو يصيح في غضب

ـ سترين أيتها الحمقاء ... سترين كيف سيحضر لك رأسه ، على طبق من النحاس بعد أن أظفر به

رمقته بنظرة مقت ، وهي تقول

ـ الشيء الذي أثق به ، هو أنه لن يفعل المثل ، إذا ما ظفر بك .

ثم مالت إلى الأمام ، مستطردة في حدة

ـ فلن يتبقى منك عندئذ ، ما يكفي لإحضاره

احتقن وجهه في غضب هادر ، وهو يرفع قبضته ، صارخًا :

ـ أيتها الحقيرة .

رفعت ذراعيها لتحمي وجهها ، ولكنه هوى بقبضته على معدتها ، بلكمة قاسية قوية ، جعلتها تطلق شهقة عنيفة ، قبل أن تسقط أرضًا ، وتنفجر بالبكاء ، فانتزع هو مسدسه ، وصوّبه إليها ، صائحًا :

ـ كان يسعدني أن أنسف رأسك الآن .

وبدا لحظة وكأنه سيطلق عليها النار بالفعل ، إلا أنه لم يلبث أن تماسك ، وأعاد مسدسه إلى غمده ، مستطردًا في غضب :

ـ ولكنني سأبقي عليك ، حتى تشاهدي هزيمته أولاً

بكت (جوليا) في عنف ، دون أن تنبس ببنت شفة ، واعتدل هو في صرامة ، وهم بقول شيء ما ، لولا أن دلف أحد جنوده إلى المكان ، قائلاً :

ـ الشقراء تستعد للرحيل .

انعقد حاجبا (رودريجز) ، وهو يلتفت إليه بحركة حادة ، قائلا فى مزيج من الدهشة والشك :

ـ الآن ؟

أومأ الجندى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ طائرتها تستعد للإقلاع ، والجنرال يودعها بنفسه

ازداد انعقاد حاجبى (رودريجز) ، وهو يغمغم :

ـ عجبًا !

ثم غادر زنزانة (هونيا) ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، وقال للجندى ، الذى لهث وهو يحث الخطى ، ليلحق به

ـ هل حدثت مشادة بينها وبين الجنرال ؟!

أجابه الجندى فى سرعة :

ـ لا يبدو هذا ، فهما يتبادلان الضحكات والدعابات ، وهو يوصلها إلى الطائرة .

هز (رودريجز) رأسه ، قائلا :

ـ رحيلها المفاجئ هذا ينطوى على سر ما

يبلغ مدخل القاعة ، فى نفس اللحظة ، التى أقلعت فيها طائرة (لورا) ، وبدا الجنرال مبتسمًا مبتهجًا ، وهو يقول :

ـ ستضاعف ثروتك يا عزيزى الكولونيل . الجميلة (لورا) أقنعت مستر (X) بتزويدنا بثلاث مقاتلات ، من طراز (ف ـ ١٦) ، وعشر دبابات حديثة ، وأكثر من ...

قاطعه (رودريجز) ، متسائلا فى توتر :

ـ لماذا رحلت فجأة ؟!

حدق (كنترو) فيه لحظة ، وكأنما يستنكر منه هذا السلوك ، ثم أجابه فى حدة :

ـ لابد أن تتم الصفقة الآن . هذه الأمور تحتاج إلى تحركات سريعة .

قال (رودريجز) فى صرامة :

ـ فقط ؟!

صاح فيه الجنرال في غضب

ـ نعم .. فقط يا كولونيل .. فقط .

قالها ، وتركه عائداً إلى القلعة في غضب ، ولكن (رودريجز) بقى في مكانه ، يعيد التفكير في الأمر مرة

وثانية ..

وثالثة ..

ثم فجأة ، هتف بأحد رجاله في حزم .

ـ اسمع يا رجل .. اذهب فوراً إلى حجرة تلك الأمريكية الشقراء ، وانظر هل ....

قبل أن يتم عبارته ، هتف أحد مراقبي الأبراج فجأة .

ـ الدبابة عادت

رفع (رودريجز) رأسه في حركة حادة ، إلى حيث أشار مراقب البرج ، واختطف منظاره المقرّب في سرعة ، وتطلع عبره إلى الدبابة ، التي تقترب

وتقترب .

وتقترب ..

وبمنتهى الثقة والاهتمام ، راح يفحص الدبابة القادمة ، في نفس الوقت الذي انبعث فيه صوت قائد طاقمها ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكي ، وهو يقول في تفاؤل :

ـ نحن في مجال رؤيتكم يا رفاق .. هل ترونه ؟! هل يمكنكم رصده فوق الدبابة ؟!

قال (رودريجز) في توتر ، عبر جهاز الاتصال

ـ لا يمكننا رصده من هنا .. من المحتمل أنه قد فر ، قبل وصولكم إلى مجال الرؤية

أجابه قائد الطاقم في حدة :

ـ مستحيل ! لقد كنا نسمع وقع قدميه ، حتى دقائق قريبة ، ونحن نترصد ما حولنا طوال الوقت ، ومن المستحيل أن يغادر سطح الدبابة ، دون أن نراه ، أو نشعر بهذا .. مستحيل ! مستحيل ! مستحيل !

تضاعف توتر (رودريجز) ، وهو يعيد فحص الدبابة المقتربة ، عبر منظاره المقرّب ، و ...

وفجأة ، لمح ذلك الجسد ، المختفى فى دقة ، خلف برج الدبابة .

لمحه بزاوية ، يصعب رصدها ، عندما تتجه الدبابة إلى القلعة .

لمح قميصه الأبيض ، وسرواله الأزرق

وسرى فى جسده توتر الظفر ، وهو يتأكد مما رصده مرة ..

وثانية

وثالثة

وبكل انفعاله ، أشار إلى الرجال ، قائلا

ـ إنه هو

سأله أحدهم فى لهفة :

ـ هل تراه يا كورنيل ؟!

أجابه فى حزم منفعل

ـ مر الرجال بالاستعداد فوق الأسوار ... لا أحد يطلق رصاصة واحدة ، حتى آمرهم بهذا ... هيا

أسرع الرجل ينقل الأمر ، فى حين عاد (رودريجز) يتابع اقتراب الدبابة عتيقة الطراز ، عبر منظاره المقرب ، وهو يتساءل : أمن الممكن أن يتصرف (أدهم صبرى) بهذه الجرأة ؟!

أو بهذه الصفاقة ؟!

ربما انتقى زاوية عبقرية للاختفاء ، خلف برج الدبابة ، ولكن ما الذى كان يتوقعه ، عندما تقترب من القلعة ؟

أى مراقب ، من مستوى مرتفع ، يمكنه رصده بسهولة ، عندما تقترب الدبابة ، إلى مسافة عشرين مترًا

فما الذى يخطط له ، عند هذه المسافة ؟!

مرة أخرى ، تأكد من وجود من يختبئ خلف برج الدبابة ، قبل أن يتراجع بدوره إلى داخل القلعة ، هاتفًا

ـ استعدوا

تكرر السؤال مرة أخرى في أعماقه، وهو يتابع الدبابة بمنظاره، مع اقترابها أكثر

وأكثر ..

وأكثر ..

« لقد فطنوا بنا .. »

نطقها الجنرال (فنترو) في قلق، وهو يقف إلى جواره، فوق أسوار القلعة، ويراقب اقتراب الدبابة بدوره. فالتفت إليه (رودريجز)، قائلاً:

ـ لست أظنه غبيًا أو أحمق، إلى هذا الحد.

أطلق (فنترو) ضحكة ساخرة، وهو يقول:

ـ هو أيضًا لا يظن نفسه كذلك، ولا بد أنه يثق بنفسه، متصورًا أننا لن نلمحه، لمجرد أنه ينتقي زاوية بارعة، مع غروب الشمس، الذي يلقي ظلالاً طويلة، يمكن أن يخدع الرؤية تمامًا

تطلع (رودريجز) إلى قرص الشمس، الذي بدأ رحلة الغروب في الأفق، وهو يغمغم:

ـ ليس أيضًا بهذه السذاجة

هز (فنترو) كتفيه، ورفع منظاره المقرب إلى عينيه، قائلاً:

ـ كيف تفسر هذا إذن؟ ألا يعني أن ..

بتر عبارته دفعة واحدة، والتقى حاجباه في شدة، وهو يقول:

ـ إنني أراه بوضوح الآن

غمغم (رودريجز) في عصبية:

ـ إنه يخفي شيئًا ما.

قال (فنترو) في سرعة:

ـ سنعرف ذلك الشيء حتمًا

ثم رفع يده، ليضيف في حزم:

ـ ونحن نرفع جثته

قالها ، ثم خفض يده ، صائحاً في رجاله

- أطلقوا النار ..

ومع صيحته ، ارتفعت فوهات مدافع رجاله

وانهال وابل الرصاصات على الدبابة ، ذات الدروع القوية ..

وأمام عيون الجميع ، أصابت الرصاصات كلها ذلك الجسد ، الذي يختفي خلف البرج

وفي انفعال جارف ، صاح قائد طاقم الدبابة

- هل أصبتموه يا رفاق ؟ هل اقتنصتموه ؟!

صاح به أحد جنود القلعة في حماسة :

- رصاصاتنا كلها أصابته يا رجل .. كلها

صرخ قائد الطاقم في انفعال ، وهو يقفز إلى عجلة الكوة ، ويديرها في سرعة ولهفة

- كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أننا سنقتلها

انعقد حاجبا (رودريجز) في شدة ، وهو يتطلع عبر منظاره المقرب ، إلى تلك الجثة ، التي أصابتها الرصاصات ، والتي لم يبد عليها أي أثر للحياة ، و

وفجأة ، انتبه إلى الخدعة

قفز الأمر كله إلى رأسه دفعة واحدة

وارتبطت المعلومات ببعضها

وفهم ..

وبكل سرعته وانفعاله ، اختطف جهاز الاتصال اللاسلكي من حزامه ، صائحاً بكل قوته

- لا .. لا تفتح الدبابة يا رجل

ولكن قوله تأخر ثانية ..

ثانية واحدة فحسب ، كان قائد الطاقم قد فتح خلالها كوة برج الدبابة ..

وانفلتت مع فتحها ، تلك القنابل الثلاث ، التي جمعها (أدهم) من جثث القتلى ، وثبتها بمهارة أعلى البرج

وداخل الدبابة ، سقطت واحدة من القنابل الثلاث ..

ثم ثانية ..

أما الثالثة ، فقد تدحرجت على جانب الدبابة ، وسقطت على الرمال ..

وفي ذهول ، مذعور ، حدق أفراد الطاقم الثلاثة في القنبلتين الداخليتين ، قبل أن يصرخ القائد :

- لا .. مستحيل !!

ومع صرخته ، دوت الانفجارات ..

انفجرت القنبلتان داخل الدبابة ، وسحقتا طاقمها سحقًا ، ودمرتا كل أجهزتها في عنف ، لينطلق من قمتها عمود من النيران ، ترتفع ألسنته لمتر كامل ، في نفس اللحظة التي انفجرت فيها القنبلة الثالثة إلى جانبها ، لتثير عاصفة عاتية من الرمال حولها

وبكل ذعر الدنيا ، صرخ (أنترو)

- ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

اندفع جنوده خارج أسوار القلعة ، في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، على الرغم من النيران ، التي اشتعلت من قمة الدبابة ، فصاح (رودريجز) في غضب :

- لا تقتربوا من الدبابة ... ابتعدوا ... هذا أمر .

صاح فيه (أنترو) :

- لم تأمرهم يا رجل ... إنهم يحاولون إنقاذ رفاقهم

صرخ (رودريجز) :

- هذا ما توقعه هو جيدًا ... هذا ما يريده بالضبط

صاح الجنرال في غضب

- لماذا ؟! لم يمكن أن يريده هذا ؟!

صرخ فيه (رودريجز) ، على الرغم من فارق الرتب بينهما ، وهو يجذبه من سترته :

- ألم تفهم بعد يا رجل ؟! ألم تستوعب خدعته ، على الرغم من كل ما حدث ؟! لقد استغل كل شيء لخداعنا ، ودخول قلعتنا ، تحت سمعنا وبصرنا

دفع (ألفارو) يده بعيدًا، وهو يقول في غضب:

- مستحيل! قمتنا لا يمكن أن يخطها سوى جنودنا

صاح (رودريجز):

- بالضبط، وهو يعرف هذا جيدًا، لذا فقد خدع أفراد طاقم الدبابة الأغبياء، واستبدل بثيابه زى أحد جنودك القتلى، ثم حمل جثة الجندي، بعد أن ألبسها ثيابه، إلى سطح الدبابة، وعلقه بوجهه طلقًا من العصيان.

امتقع وجه الجنرال المكسيكي، وهو يقول:

- تعني أن تلك الجثة، التي أطلقت عليها رصاصاتنا، كانت جثة أحد رجالنا، في ثوب ذلك المصري

لوّح (رودريجز) بذراعيه في الهواء، صائحًا في سخط:

- أخيرًا فهمت... إنها مجزرة حقيقية

بدت حيرة عصبية على وجه (ألفارو)، على الرغم

من إهانة (رودريجز) الواضحة له، ولوّح بذراعيه في توتر، قائلًا:

- ولكن أين كان؟! إننا لم نر سوى تلك الجثة، على سطح الدبابة!

هزّ (رودريجز) رأسه في غضب، وهو يهتف:

- أنت المسئول عن هذا، بإصرارك على استخدام هذه الدبابات العريضة، التي يرتفع جسمها ستين سنتيمترًا، عن مستوى جنازيرها.

صاح (ألفارو):

- وما علاقة هذا بـ....

بتر عبارته بغتة، واتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يهتف في ارتياع:

- هل تعني أنه... أنه يختفي أسفل الدبابة؟

مال (رودريجز) نحوه، وهو يصيح في حدة:

- بالطبع أيها العبقري.. ستون سنتيمترًا تكفي

لاختفاء قبل صفر ، وليس مقاتلاً رشيقًا قويًا مثله ..
أراهنك على أنه وجد ألف شيء يمكنه أن يتعلق به أسفلها

حدق (فالتزر) في وجهه لحظة ، في ذهول وارتياع ،
قبل أن يلوّح بيده مرة أخرى ، قائلا

- ولكن إحدى القنابل سقطت أرضًا ، وانفجرت إلى
جوار الدبابة ، وهذا كاف لـ

قاطعه (رودريجو) في حدة

- ليس لقتله يا جنرال .. لقد اختار زاوية سقوطها
بمنتهى المهارة ، بحيث يحجب عنه جذع الدبابة موجة
التضاغط ، التي ستنشأ من الانفجار ، ولو أنها سقطت
أمام الدبابة أو خلفها ، وانفجرت هناك ، لقتله الانفجار
حتمًا ، ولكنه لم يكن يريد من الانفجار سوى سحابة الغبار
الكثيفة ، التي سيثيرها حول الدبابة ، وما سيستتبعه
هذا من اندفاع جنودنا إليها ، في محاولة لإنقاذ
رفاقهم ، لكي يزحف هو عندئذ ، من أسفل الدبابة ،
ويمتزج بهم ، بالزي الذي استبدله مع أحد قتلانا

امتقع وجه الجنرال أكثر وأكثر ، وهو يقول :

- إذن فهو هنا الآن ؟!

جاء دور (رودريجو) ، ليلوّح بذراعيه ، صائحًا
بكل غضب الدنيا :

- نعم يا جنرال .. هو هنا الآن .. داخل قلعتنا ،
ووسط رجالك وقواتنا ، ولا أحد يدرى أين هو ،
ولا ما الذي يفعله الآن .

ظل الجنرال (فالتزر) يحدق فيه بضع لحظات في
ذهول ، قبل أن ينعقد حاجباه في شدة ، وهو يقول
في غضب صارم :

- فليكن .. هذا لا يعني أنه قد انتصر علينا

كاد (رودريجز) ينفجر في وجهه ، وهو يلوّح
بذراعيه ، ويشيح بوجهه في غضب هادر ، ولكن
الجنرال تابع في ثورة :

- (نورا) قالت : إن الأمر سينتهي بعد أقل من
ساعة ، في كل الأحوال .

استدار إليه (رودريجز) مرة أخرى، هاتفاً في توتر

- هي قالت هذا .

تابع الجنرال، وكأنه لم يسمعه، وهو يضم قبضته أمام وجهه في قوة :

- وسأثبت لها أنها على حق، سأسحق ذلك المصري، قبل مرور نصف الساعة فحسب .

صاح به (رودريجز) :

- ولكن لماذا قالت (نورا) هذا ؟!

مرة أخرى تابع الجنرال، وكأنه لم يسمعه

- سأنظر إلى الأمر من زاوية جديدة . إنه لم ينتصر بوصوله إلى هنا، بل وضع نفسه بين فكي الأسد بين أصابع جيشنا القوي كله

صرخ (رودريجز)، وعقله لم يعد يشغله سوى أمر (نورا) :

- لماذا قالت هذا ؟!

صرخ الجنرال (ألبرتو) في وجهه بقوة

- فلتقل ما تقول.. هذه ليست قضيتنا الآن

ثم اختطف مكبّر الصوت، مستطرداً، وجسده كله يرتجف انفعالاً :

- المهم أن نثبت لذلك المصري، أنه قد ارتكب أكبر خطأ في حياته، بقدومه إلينا .

عض (رودريجز) شفتيه، بكل غضب الدنيا، وأدرك في أعماقه أن مواصلة الحديث مع الجنرال مجرد حماقة، لا طائل منها، فتركه، وانطلق يعدو نحو البرج الأوسط، حيث حجرة (نورا)..

كان واثقاً من أن تلك الأمريكية قد تركت شيئاً ما خلفها

شيئاً ليس في صالحهم أبداً .

شيء يرتبط حتماً بعبارتها، التي أثارت كل القلق في أعماقه..

الأمر سينتهي خلال أقل من الساعة .. في كل الأحوال .

خلال أقل من الساعة ..

أقل من الساعة ..

ترددت الجملة الأخيرة في ذهنه ، وهو يواصل عدوه نحو البرج الأوسط ، في نفس اللحظة التي صاح فيها الجنرال (ألتزو) من خلفه ، عبر المكبّر الصوتي القوي :

- نداء إلى الجميع .. خصمنا المصري نجح في التسلّل إلى هنا .. إنه بينكم .. يرتدي أحد أزيائكم ، ويتحرك وسطكم .. لا تسمحوا له بخداعنا .. كلنا يعرف بعضنا البعض جيدًا .. ابحثوا عنه بينكم ، وأطلقوا النار مباشرة ، فور رؤيته .. أريد منكم أن ... .

وقبل أن يكمل صيحته ، دوى الانفجار ..

لقد مدفعى الميدان الثقيل بمنتهى العنف ، مع ذخيرته المجاورة له ، وانطلقت شظاياها في كل مكان ، لتطيح بالجنود بلا رحمة ..

ثم انفجرت واحدة من سيارات الجيب

وثانية ..

وثالثة ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ (ألتزو) :

- ابحثوا عنه .. اقتلوه بأي ثمن .. أي ثمن .

وعلى الرغم من سماعه للصرخة ، التي انطلقت عبر المكبّر الصوتي القوي ، لم يتوقّف (رودريجو) لحظة واحدة ، وهو يواصل عدوه نحو حجرة (لورا) ، وإن هتف في غضب ساخط :

- زنزانة الروسية الحسناء ، أيها الجنرال الأحمق .. أرسلهم إلى زنزانة الروسية الحسناء .. هذا هو الهدف ، الذي يسعى إليه المصري .. إنك تواجه ثعلبًا ، فلتكن أكثر براعة منه .

نطق الجزء الأخير من عبارته ، وهو يقتحم حجرة (لورا) ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق في شاشة جهاز الاتصال ، التي لم تحمل سوى ذلك التوقيت التنازلي ، الذي ينخفض في سرعة ..

وكخبير متفجرات سابق ، في الجيش المكسيكي ، أدرك (رودريجز) ، من النظرة الأولى ، أنه أمام قنبلة موقوتة ، تستعد للانفجار بعد سبع دقائق وثلاث ثوانٍ ، كما يقول توقيتها التنازلي ..

الانفجار الذي سيسحق معه كل شيء ..

وكل شخص ..

بلا استثناء ..

* * *

٧ـ الدقائق الأخيرة ..

ارتفع حاجبا دون (باتشينو) ، زعيم عائلات (صقليا) ، في (واشنطن) و(فرجينيا) ، في دهشة بالغة ، وهو يحدق في دونا (كارولينا) ، التي فوجئ بدخولها إلى مكتبه ، وهي تقول :

ـ دون .. أحتاج إلى استشارتك ، في أمر مهم للغاية .

نهض (باتشينو) في صعوبة ، صنعتها سنوات عمره ، التي جاوزت الثمانين ، وصافحها بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بك أولاً يا دونا ، واعذريني لو تساءلت : كيف أمكنك الوصول إلى مكتبي ، دون أن يخطرني أحد رجالي بقدومك ؟!

قالت في توتر :

ـ ربما لم يتصور أحدهم أن القواعد يمكن أن تسري ، على زعيمة كل العائلات

يبتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- القواعد هي القواعد يا دون ، ولولاها لما بقيت عائلاتنا ، حتى هذا الزمن .

ساعدته على العودة إلى مقعده ، وجلست على المقعد المقابل ، وأشعلت سيجارتها ، قائلة :

- خطأ يا دون (بالتشيلو) لو راجعت معي تاريخ العائلة ، الذي عاصرته بنفسك ، أيام زعامة والدي ، لأدركت أن (المافيا) أمكنها البقاء ، لأنها غيرت قواعدها ، عندما استلزمت الأمور هذا

سألها في حذر :

- وكيف يا دونا ؟!

أجابته ، وهي تنفث دخان سيجارتها في قوة :

- هل تذكر أيام ظهور ذلك اليوناني ، الذي قرر السيطرة على تجارة المخدرات ؟!

سعل الرجل في قوة ، قبل أن يقول :

- ذكرتني تصعب كثيرا يا دونا ، مع رائحة التبغ المحترق .

فهمت ما يعنيه ، فأطفأت سيجارتها في عصبية ، وهي تتابع :

- أيامها قال والدي : إنه من الخطأ أن تتورط (المافيا) في تجارة قذرة كتجارة المخدرات ، لأنها نظام يعتمد على تماسك وترابط العائلات ، ولا يصح أن تتورط في تجارة ، تعتمد على إفساد الشباب والأطفال

ابتسم (بالتشيلو) ، وهو يتراجع في مقعده ، قائلا :

- أيامها دبر ذلك اليوناني خطة لاغتيال والدك

قالت في حزم :

- ونجا أبي من الموت بأعجوبة ، وقتل (مايكل) ذلك اليوناني ، مع رئيس الشرطة أيامها ، وانتقم لمحاولة اغتيال أبي

ومالت نحوه ، مستطردة

ـ ثم ماذا حدث بعدها ؟!

قلب (باتشينو) كفيه ، قائلا

ـ بدأت العائلة عملها في تجارة المخدرات

أشارت إليه ، قائلة في حزم :

ـ وتغيّرت القواعد ، لأن الحياة تحتم هذا

تنهّد ، قائلاً .

ـ أنت على حق يا دونا ، ولكن الأمور في الماضي كانت تختلف .

قالت في حزم أكثر :

ـ في السنوات الأخيرة أيضًا ، وبعد رعاعتي المنظمة ، وصدور مجموعة القوانين المنظمة للتعامل بالنقد ، مع الحرب التي شنتها الحكومة ، على عمليات غسيل الأموال ، غيرنا القواعد كلها مرة أخرى ، وانتقلنا من الأعمال غير المشروعة ، إلى المشروعات الاستثمارية

الضخمة ، ونجحت في إدارتها ، بوساطة أعظم الخبراء الذين استعنا بهم ، ومعظمهم من خارج العائلة ، أمريكيون ، وألمان ، وحتى يابانيون .

ومالت نحوه أكثر ، مضيفة

ـ القواعد تتغيّر دومًا يا دون ، حتى تبقى العائلة على القمة

تطلّع إليها طويلا في صمت هذه المرة ، قبل أن يسألها في بطء

ـ ما القواعد التي تريدين تغييرها هذه المرة يا دونا ؟!

صمتت فترة طويلة أيضًا بدورها ، قبل أن تجيب في صرامة :

ـ القواعد الرئيسية .

انعقد حاجباه في شدة ، وهو يتطلّع إليها ، متسائلاً

ـ أية قواعد تعنين يا دونا .

كررت في صرامة أكثر :

ـ القواعد الرئيسية يا دون

ازدرد لعابه في صعوبة ، وهو يتمتم :

- حديثك يخيفني اليوم يا دونا

تراجعت في مقعدها ، قائلة :

- وسيخيفك أكثر ، عندما تسمع التفاصيل

اتسعت عيناه لحظة في ارتياع ، قبل أن يسعل ، ويميل نحوها ، متسائلا في قلق بلا حدود .

- ماذا لديك بالضبط يا دونا ؟!

انفرجت شفتاها ، على نحو يوحي بأنها ستخبره بكل التفاصيل ، إلا أن هاتفها المحمول انطلق فجأة ، فالتقطته ، قائلة :

- ما الجديد لديك يا (كارلو) ؟!

أتاها صوت مساعدها الأول ، وهو يقول :

- دونا .. ذلك المكسيكي الذي استأجرناه ، يقول : إن الاقتراب من القلعة مستحيل ؛ بسبب طبيعة الأرض هناك ، ولكنه استخدم بعض المناظير المقربة القوية ، ويقول : إنه هناك انفجارات عنيفة داخل القلعة

فتنقل انفعالها إلى صوتها ، وهي تقول :

- هذا يعني أن (أدهم) مازال بخير

قال في ترقب :

- ربما كانت مجرد ...

قاطعته في صرامة :

- إنه هو .

صمت لحظة ، قبل أن يقول :

- ولكن هذا يعني أيضًا أن القتال قد بلغ ذروته ، ومازالت أمامنا أربع ساعات ، قبل أن نصل إلى هناك

انعقد حاجباها في شدة ، وهي تقول في عصبية :

- إننا نفعل ما بوسعنا ، وربما يفعلها هو ، قبل أن نصل إليه .

ترقب (كارلو) أكثر ، ثم قال :

- إنه مجرد رجل واحد ، في مواجهة جيش كامل يا دونا .

صاحت في غضب :

ـ من تتحدث عنه ليس مجرد رجل واحد ..

وصمتت لحظة ، ثم أضافت في حدة .

ـ إنه جيش .. جيش في مواجهة جيش

غمغم (كلولو) :

ـ بالطبع يا دونا .. بالطبع .

قالت في صرامة شديدة .

ـ واصل متابعة الموقف ، وأبلغني التطورات ، أولاً فأولاً

غمغم

ـ سأفعل يا دونا

أنهت المحادثة في عصبية واضحة ، فتطلع إليها (باتشينو) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ ما هي ذي قاعدة أخرى تتحطم يا دونا

تساءلت بنفس العصبية :

ـ أية قاعدة ؟!

تطلع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ أنت غارقة في حب ذلك المصري حتى النخاع

أدرك على الفور أنه قد أصاب الهدف بدقة ، مع اختلاجة جفونها ، وارتعاشة شفتيها ، على الرغم من محاولتها السيطرة على تماسكها ، وهي تجيب :

ـ ما من امرأة يمكنها مقاومته .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت في حزم

ـ ولكنني لست مجرد امرأة .. إنني الزعيمة الروحية لمنظمات (المافيا) ، واكتسى صوتها بصرامة شديدة ، وهي تضيف :

ـ ولست أنوي التخلي عن هذا اللقب أبدا

تنهد دون (باتشينو) مرة أخرى ، وسألها في حزم:

ـ ما الذي أتيت لتطرحيه الليلة يا دون ؟!

رمقته بنظرة صامتة ، استغرقت دقيقة كاملة ، قبل أن تقول ، بكل صرامة الدنيا .

- أنت لا تقلب الأمور كلها رأساً على عقب يا دون

ثم مالت نحوه ، وراحت تشرح له ما لديها ..

واتسعت عينا أكبر زعماء (المافيا) عمراً ، وقلبه يكاد يتوقف بين ضلوعه ، من هول ما يسمعه .

لقد كانت دونا على حق تماماً ..

إنها ستشعل الدنيا كلها ..

وستقلب كل الأمور رأساً على عقب

ستقلبها على رءوس الكل ..

بلا استثناء ..

بلا هوادة

وبلا رحمة ..

على الإطلاق ..

* * *

بمنتهى العنف ، خفق قلب (رودريجز) ، خبير المتفجرات السابق ، في الجيش المكسيكي ، وهو يقترب من تلك القنبلة الموقوتة ، في جهاز الاتصال الخاص بـ (لورا) ..

وبأصابع حذرة ، راح يتحسسه

ويدرسه ..

ويحاول فهم طريقة عمله .

ولقد أضاع هذا عليه نصف دقيقة كاملة ..

ثلاثون ثانية ، قبل أن يدركه ويستوعب حقيقة الموقف كله ..

إنه أمام قنبلة رهيبة ، ستنفجر بعد ست دقائق ، وسبع وعشرين ثانية ..

قنبلة تكفي لسحق المكان كله سحقاً ..

بكل ما فيه ..

ومن فيه ..

ولأنه خبير في هذا المضمار ، فقد أدرك أن أية محاولة لتحريك هذه القنبلة ، أو إيقاف مفعولها ، ستؤدي إلى انفجارها فورًا

وبكل غضب الدنيا ، عتل هتف :

ـ يا للأمريكية الحقيرة !!

تمنى لحظتها لو أمكنه أن يقبض على عنق (لورا كولمان) بأصابعه ، فلا يتركها إلا وهي جثة هامدة ..

وتمنى أكثر لو عرف من هو زعيمها مستر (X) هذا .

من يكون ؟

وأين يمكن العثور عليه ؟!

ومن خارج المكان ، سمع دوي الانفجارات ، وصرخات الجنرال (ألفارو) على مكبر الصوت ، وهو يدعو الرجال للتماسك ، والبحث عن (أدهم صبري) في كل مكان ، فغمغم في سخط



حدق فى (رودريجز) خبير المتفجرات السابق فى الجيش المكسيكي وهو يقترب من تلك القنبلة بروية

- فات الوقت أيها الجنرال الأحمق .. لو أن لديك أية خبرات عسكرية حقيقية ، لأدركت أن الغرض الحقيقي ، من كل هذه الانفجارات ، هو تشتيت انتباهك ، وانتباه قواتك حتى يتمكن من بلوغ زنزانة الروسية الحسناء ، وتحريرها .

ألقى نظرة أخرى على المؤقت التنازلي ، الذي أشار إلى خمس دقائق ، وست وأربعين ثانية قبل الانفجار ، ثم سحب مسدسه ، هاتفًا في حنق :

لا بد من الابتعاد بأقصى سرعة ، ولكن لو تبقت لدي دقيقة واحدة ، فسأقتلك أيها الجنرال الملعون ، الذي لا يصلح إلا كماسح للنعال ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، وانعقد حاجباه أكثر ، قبل أن يتطلع خارج المكان ، صائحًا :

- بل ستقتله هو .. ستقتل (أدهم) .. (أدهم صبري) ..

في نفس اللحظة ، التي أطلق فيها صيحته ، كانت (سونيا) تنكمش بأقصى نقطة بزنزانتها الصغيرة في رعب ، مع دوي الانفجارات المتتالية ، الذي يصم آذانها ..

وكان قلبها يخفق في قوة .

بمنتهى القوة ..

فما يحدث كان يؤكد أن (أدهم) هنا ..

داخل القلعة ..

لقد فعلها بجرأته المذهلة

اخترق كل الحواجز والعقبات

وفعلها ..

ويا له من رجل

وفي لهفتها ، هتفت :

- هيا .. أسرع .. أخرجني من هذا الجحيم

برز جندي الحراسة، ليصيح بها في عصبية، وهو يلوّح بمدفعه الآلي:

- اصمتي يا امرأة، أو تحدثي بالأسبانية.

صاحت به، وهي تتراجع أمام مدفعه في خوف.

- لست أفهم ما تقول.. أقسم إنني

قبل أن يتم عبارته، امتدت يد قوية، تقبض فجأة على عنق الحارس، ثم تنتزعه من مكانه بمنتهى العنف، وسمعته (هوليا) يطلق شهقة قوية، ثم سمعت دوي رصاصات تنطلق، مع صوت ضربة مكتومة، طار بعدها جسد الحارس عبر المكان، ليرتطم بقضبان الزنزانة في قوة، ثم يرتد في عنف في نفس اللحظة التي ظهر فيها (أدهم)، في زي جنود (التنزو)، ليلكمه لكمة أخرى في أنفه، سقط الرجل بعدها فاقد الوعي.

ولثوان، حدقت (هوليا) في (أدهم) بمنتهى الذهول، وهو ينحني لالتقاط مفاتيح الزنزانة، من حزام الحارس، ثم لم تلبث أن هتفت بفرحة طاغية، عندما اعتدل ليفتح زنزانتها:

- كنت أعلم أنك ستأتي.. كنت واثقة من أنك لن تتخلى عني أبدًا.

وأرادت أن تندفع لتتعلق بعنقه، وتلقي بنفسها بين ذراعيه، تعبيرًا عن امتنانها لما فعل من أجلها، ولكنه استوقفها براحته، على امتداد ذراعه، وهو يسألها في اهتمام:

- أأنت بخير؟!

هتفت في سعادة:

- بالتأكيد.. مادمت قد أنقذتني من هذا الجحيم.

أجابها في حزم، وهو يجذبها خارج الزنزانة:

- الأمر لم ينته بعد.. ما زلنا داخل المعتقل.

هتفت، وهي تتبعه في حماسة:

- ولكنك نجحت في الدخول.. أليس كذلك؟!

قال بنفس الحزم:

- الدخول ليس مشكلة .. المشكلة كلها تكمن في الخروج .

هتفت :

- الدخول ليس مشكلة ؟! أي قول هذا ؟!

بلغا أسفل المبنى لتوقف ويستطلع الأمر ، وهو يقول :

- الانفجارات التي صنعتها في الساحة ، ساعدت على تشتيت انتباههم ، وبث الارتباك والفوضى في صفوفهم ، ولم يكن من الصعب أن أنتحل اسم أحدهم ، ليقودني إلى هنا ، أما الخروج ، فهو قضية أكثر صعوبة .

قالت في لهفة :

- ولكن لديك خطة بالتأكيد

تنهد ، وهز رأسه ، مجيبا :

- مطلقاً .

حدقت في وجهه ، هاتفة في ذعر وارتياع :

- مطلقاً ؟! ماذا تعني ؟! أليست لديك خطة للخروج من هنا ؟!

صمت لحظة ، وهو يتطلع إلى ساحة القلعة ، عبر فرجة الباب ، قبل أن يقول :

- ليست هناك سوى وسيلة واحدة

سألته في لهفة :

- وما هي ؟!

أشار إلى المبنى المقابل عبر الساحة ، وقال :

- الشمس غربت بالفعل ، وهناك يوجد مولد الكهرباء الرئيسي للمكان ، ولو أمكنني عبور الساحة ، متخفيا بزيهم هذا ، وقمت بنسف المولد الرئيسي ، سيعم الظلام ، وتسود الفوضى ، وسيمكننا عندئذ أن نستقل (الجيب) الوحيدة المتبقية ، لننطلق من هنا

قالت في عصبية :

ـ إلى قلب الصحراء ؟!

سألها في صرامة :

ـ أترينه وسيلة للفرار ؟!

هزت رأسها نفياً في مرارة ، وقالت :

ـ كلا ، ولكن هذا يبدو لي أشبه بالفرار من جحيم إلى آخر .

قال في هدوء :

ـ بسيارة (جيب) ، ربما تكون لدينا فرصة أفضل

غمغمت في استسلام :

ـ ربما

قالتها ، ثم أمسكت ذراعه فجأة ، قائلة :

ـ ولو نجحنا في الخروج من هذه الأزمة

توقفت بغتة في حرج ، فالتفت إليها متسائلاً :

ـ ماذا سيحدث عندئذ ؟!

تزايد وجهها حمرة ، من فرط الخجل ، وهي تقول :

ـ هل يمكن أن تدعوني إلى العشاء ، في مكان ما ؟!

تطلع إليها بدهشة حقيقية ، قبل أن يهز رأسه ، مضيفاً بالعربية :

ـ يا للنساء !

سألته في لهفة :

ـ ماذا تقول ؟!

استدار إليها ، ليشرح لها بالروسية ما قاله ، و ...

ولكن استدارته لم تكتمل ..

فمع استدارته ، دوى الانفجار بغتة

قنبلة يدوية محدودة ، أصابت باب المبنى ، ودفعه

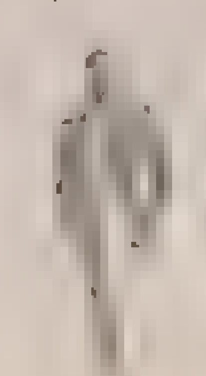
مع (هوليا) إلى الداخل فى عنف ، ليرتطما بالجدار فى قوة ، ثم يسقط أمامه ، فى نفس اللحظة التى برز فيها (رودريجز) ، مع فريق من رجاله ، وكلهم يصوبون أسلحتهم إليها ، وهذا الأخير يقول ، بكل ظفر وزهو ، وشماتة الدنيا :

ـ خسرت فيها المصرى .. أخيرًا

وهوى قلب (هوليا) بين قدميها ..

كالحجر .

* * *



٨ ـ الانفجـار ..

انطلق أذان الفجر ، من مئذنة الجامع الكبير ، فى قلب مبنى المخابرات العامة المصرية ، وتردد فى المكان كله ، مع هدوء الليل وسكونه ، فحرك مدير المخابرات عينيه ، وهو يجلس على رأس مائدة الاجتماعات الرئيسية ، وتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ هيا يا رجال .. لا ينبغى أن تفوتنا صلاة الفجر .

كان الإرهاق يبدو واضحًا على وجوههم ، بعد اجتماع دام أكثر من سبع ساعات متصلة ، ولكنهم نهضوا فى صمت و ...

وفجأة ، اندفع مسئول الاتصالات إلى المكان ، وهو يلوّح بورقة فى يده ، هاتفًا فى انفعال :

ـ معلومات جديدة من (المكسيك)

التقط المدير الورقة من يده ، وطالعها فى سرعة ، قائلاً :

- المراقب التابع لدوننا (كارولينا) ، يؤكد وجود قتال عنيف ، مع انفجارات قوية ، داخل قلعة الجنرال (ألتازو) .

تبادل الرجال همهمة خافتة ، قبل أن يقول أحدهم في حزم :

- إنه سيادة العميد (أدهم) بالتأكيد .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- ومن سواه ، يمكنه أن يحول الصحراء إلى ساحة حرب طاحنة .

قال أحد الرجال في توتر .

- ولكن هذا يعني أنه داخل القلعة .

وأضاف آخر في قلق :

- وسط (ألتازو) وجيشه .

وأكمل ثالث :

- ويقاتلهم جميعًا في عنف

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :

- لست أدري كيف يفعل (ن - ١) هذا ، ولكنه يجد وسيلة ما دومًا .

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يتمتم أحدهم .

- أخشى أنه ليس في كل مرة تسلم الجرة

ازداد انعقاد حاجبي المدير ، وهو يغمغم :

- من يدري ؟!

ثم التفت إلى مساعده ، يسأله .

- متى سيصل رجال (كارولينا) تقريبًا ؟!

أجابه الرجل في سرعة :

- ليس قبل ثلاث ساعات ونصف الساعة

مط المدير شفتيه ، قائلاً :

- في مثل هذه الظروف ، يمكنك أن تنسى أمرهم تمامًا ، فموقف كالذي تصفه هذه الأوراق ، لا يمكن أن ينتظر ربع ساعة أخرى ، وليس ثلاث ساعات ونصف الساعة .

قال رجل مخابرات في مرارة :

- أيعني هذا أن كل ما فعلناه ، كان بلا طائل .

قلب المدير كفيه ، قائلاً :

- على المرء أن يسعى ، وليس عليه إدراك النجاح

تبادل الرجال نظرة صامتة أخرى ، ثم قال أحدهم في أسف :

- أخشى أن الموقف ليس في صالح سيادة العميد (أدهم) هذه المرة

غمغم آخر :

- للأسف .

قاوم المدير انفعاله ، وهو يشد قامته ، قائلاً في حزم .

- هل تعرفون أفضل ما ينبغي أن نفعله الآن ؟!

ارتفعت العيون كلها في تساؤل ، فتابع بحزم أكبر :

- أن نؤدي صلاة الفجر .

وكان على حق تماماً ..

فهذا أفضل ما يمكنهم فعله .

وكل ما يمكنهم فعله ..

* * *

ثلاث دقائق كاملة ، خيم الصمت التام ، على حجرة نوم (باتشينو) ، في قصره في (واشنطن) .

وطوال تلك الدقائق الثلاث ، كان يحدق في وجه دونا (كارولينا) ، التي انتهت من شرح ما لديها ، وتراجعت في مقعدها ، في انتظار جوابه .

ولأن دونا تعرف طبيعته جيداً ، منذ كان صديق والدها في طفولتها ، فقد لاذت بالصمت التام بدورها ، وتركته يدرس الموقف ، ويديره في رأسه العجوز مرات ومرات .. ومرات .

وفي النهاية ، تراجع دون (باتشينو) بدوره في مقعده ، قائلاً :

- أنت مجنونة يا دونا .. مجنونة تماماً

لم تعلق على عبارته ..

لم تعترض ..

لم تستنكر ..

بل ولم تغضب ..

فقط واصلت صمتها ، وهي تتطلع إليه في هدوء ، حتى ابتسم ، مضيفاً :

- ولكن أسلوب تفكيرك يروق لي تماماً .

وهنا اعتدلت ، لتسأله في اهتمام :

- أيعني هذا أنك معي ؟!

لوّح بيده ، قائلاً :

- إنه لا يعني شيئاً ، حتى هذه اللحظة .

ومطّ شفتيه ، قبل أن يضيف :

- ما تنوين فعله سيثير حفيظة الكل بلا استثناء

قالت في هدوء :

- بل سيثير جنونهم .

عاد يمطّ شفتيه ، قائلاً :

- ربما كان هذا هو التعبير الأكثر دقة .

ثم انعقد حاجباه ، مع استطرادته :

- ولكن الحرب ستشتعل بلا هوادة

تنهدت ، قائلة :

- الحرب ستشتعل في كل الأحوال يا دون .. كل شيء يؤكد أنها كانت مستعدة للاشتعال في أية لحظة .. عدد من زعماء العائلات كانوا يعلمون هذا ، ويعرفون جيداً أن (جوماتي) الحقير يسعى للقب ، ولكن أحدهم لم يحرك ساكناً لمنعه من هذا ! بل ولم يحاول أحدهم حتى تحذيري مما يحدث ، وكأنهم يوافقونه فيما ذهب إليه .

لوّح بسبابته في وجهها ، قائلاً في صرامة :

- لقد قتلت (جوماتي) ، دون الرجوع إلى مجلس العائلات يا دونا ، ودون حتى طرح الاتهام على الجميع ، وهذا يخالف كل القواعد ، وبشدة

تراجعت مرة أخرى فى مقعدها ، قائلة :

ـ حقًا ؟! لماذا لم يعترض أحدهم إذن ؟! لماذا صمتوا على ما فعلته به ؟!

قال محذرًا :

ـ الرمال الناعمة لا تظهر خطورتها على السطح يا دونا .

مالت نحوه بحركة حادة ، قائلة فى صرامة :

ـ وهذا ما أقصده بالضبط .. إنهم لم يعترضوا علانية ، لأنهم يدبرون أمرًا ما خفية

قال فى حدة :

ـ وأنت تسعين لاستثارة غضبهم أكثر ، فى ظل هذه الظروف .

كزت فى حزم :

ـ ليس غضبهم ، وإنما جنونهم

ثم تزحت بكفها ، مستطردة :

ـ فالجنون يعمى المرء ، ويفقده صوابه واتزانه ، وقدرته على تقييم الأمور ، واتخاذ الخطوات المناسبة ، فى الوقت المناسب ، وهذا أفضل ما تصنع فيه خصمك ، عندما تنوى القضاء عليه تمامًا

عاد يلوّح بسبّابته ، قائلاً :

ـ أمر خطير .. خطير للغاية يا دونا

تراجعت فى مقعدها كعادتها ، وهى تقول فى صرامة جافة :

ـ أعلم هذا يا دون ، ولكننى لم آت لإضاعة الوقت ، فى محاولات نصح عقيمة

قال فى توتر :

ـ أنت .. إنك تريدين استشارتى

قالت فى برود :

ـ لم يكن هذا ما قصدته بالضبط

سألها فى عصبية :

ـ ماذا قصدت إذن ؟!

التفتت إلى عينيه مباشرة ، وهي تجيب بنفس البرود .

- أردت فقط أن أسألك . أأنت معي أم لا ، ففي حرب كهذه ، لايمكنني تقسيم الكل إلا إلى قسمين فحسب . أصدقاء أو أعداء ، ففي أية خانة ترغب في أن تسجل اسمك ؟!

حدق فيها لحظة ، بشيء من الارتياع ، قبل أن يجيب في حزم

- خانة الأصدقاء بالطبع يا دونا .. كما كنت دائمًا .

نهضت قائلة

- عظيم

واتجهت نحو الباب مباشرة ، وهي تضيف ، دون أن تلتفت إليه .

سأتصل بك ، عندما تحين اللحظة .

غمغم .

- بكل تأكيد يا دونا .. بكل تأكيد .

لم تكد تغلق الباب خلفها ، حتى تمتم في مقت :

- إنها مجنونة بحق

وأرهف سمعه ، ليتابع وقع قدميها ، وهي تبتعد عبر ممر القصر الطويل ، قبل أن يلتقط سماعة هاتفه الخاص ، متمتمًا :

- وستشعل حربًا ، لا نهاية لها .

أما دونا (كارولينا) ، فقد واصلت سيرها بنفس الهدوء ، حتى غادرت قصره ، ووصلت إلى سيارتها ، وأغلقت بابها خلفها ، لتسأل سائقها في اهتمام وهي تشعل سيجارتها :

- هل يعمل جهاز التنصت بكفاءة ؟!

ضم السائق سبابته وإبهامه ، وهو يلوّح بيده ، قائلاً :

- بمنتهى الكفاءة .

سألته ، وهي تسترخي في مقعدها :

- هل بدأ في إجراء اتصالاته ؟!

أجابها مبتسمًا

- فور خروجك يا دونا .

نفثت دخان سيجارتها ، وهي تقول :

ـ عظيم .. دعنا نستمع إلى عرض الليلة إذن .

انطلق السائق بالسيارة ، وهو يضغط زرًا صغيرًا ، فانبعث داخلها صوت دون (باتشيتو) ، وهو ينقل حديثه معه إلى زعماء العائلات ، واسترخت هي في مقعدها أكثر ، وهي تغمغم :

ـ كل شيء يسير وفقًا للخطة .

وأسبلت جفنيها ، وشفتاها ترسمان ابتسامة كبيرة

ابتسامة ظافرة ..

وواثقة .

للغاية ..

* * *

انحبست صرخة رعب هائلة ، في حلق (هولينا) ، وهي تحدق في (رودريجز) ، الذي تألقت عيناه ، في ظفر وحشي عجيب ، وهو يتطلع إليهما ، في حين

نهض (أدهم) في هدوء مدهش ، لايتناسب أبدًا مع الموقف ، وهو يقول :

ـ تأخرت في إطلاق النار يا هذا .. معظم من واجهتهم ارتكبوا الخطأ نفسه ، ثم لم يجدوا فرصة ثانية ، لتلافي الخطأ الأول

قال (رودريجز) في خشونة :

ـ لقد انتهى أمرك أيها المصري ، وسخريتك المتحذلقة هذه .. لن تغير من مصيرك شيئًا

قال (أدهم) في سخرية ، وهو ينفض الغبار عن ثيابه :

ـ وهل تعتقد أن وقاحتك ستفعل ؟!

انعقد حاجبا (رودريجز) ، وهو يقول في حدة :

ـ ما الذي تحاول فعله بالضبط أيها المصري ؟!

هز (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ـ الخطة الأزلية يارجل .. أحاول أن أثير غضبك .

وافتقدت صوابك ، حتى تقدم على فعل أخرق ، يمنحنى الفرصة للخروج من هذا الموقف .

صاح فيه (رودريجر) فى غضب :

ـ ستكون أحمق بحق ، لو تصوّرت أنه بإمكانك هذا .

عاد (أدهم) يهز كتفيه ، وهو يقول فى سخرية :

ـ من يدرى ؟!

لم تفهم (جوليا) حديثهما ، الذى يتبادلانه بالإسبانية ، ولكنها نقلت بصرها بينهما فى ذهول تام وحيرة بلاحدود ..

فـ (رودريجر) ، الذى يفترض كونه فى الموقف الأكثر قوة ، مع ذلك السلاح القوى فى يده ، والجنود المحيطين به ، يبدو شديد التوتر والعصبية ، على عكس (أدهم) ، الذى يبدو ساخرًا لامباليا ، وكأنه هو المنتصر ، فى هذا الموقف الرهيب

ولم تتمكّن (جوليا) من فهم هذا

لم تتمكّن أبدًا ..

وربما لو كانت تتحدّث الروسية ، لما اختلف الأمر كثيرًا ..

فقد احتقن وجه (رودريجر) فى شدة ، وهو يتراجع خطوة إلى الخلف ، ويلوّح بيده ، قائلاً فى حدة

ـ فليكن أيها المتحذلق المصرى .. لن أضيع الوقت فى مجادلتك العقيمة هذه ، فالقنبلة ستنفجر ، بعد أقل من دقيقتين ، لتنسف المكان كله نسفًا ، و .. .

ارتسم الذعر على وجوه جنوده ، مع قوله هذا ، فى حين تألّقت عينا (أدهم) وهو يقول :

ـ القنبلة ؟! هل قلت .. إن قنبلة ستنفجر ، لتنسف القمة كلها ؟!

ثم رفع عينيه إلى (جود) ، مضيفًا فى لهجة خاصة :

ـ بعد أقل من دقيقتين .

أدرك (رودريجز) الخطأ الذي وقع فيه، عندما أصيب جنوده بذعر هائل، جعلهم يتخلون عنه، ويعدون مبتعدين، وهم يصرخون:

- قنبلة .. قنبلة ستنسف المكان كله .. بعد أقل من دقيقتين

سمع الباقون صرخاتهم، فانبعثت في المكان موجة هائلة من الذعر، جعلت الكل يعدو في كل اتجاه، محاولاً الفرار بحياته، فصاح بهم الجنرال (ألنزو)، وهو يعترض طريقهم، محاولاً منعهم من مغادرة القلعة:

- تراجعوا .. هذا أمر .. لن تغادروا القلعة إلا على جثتي.

ولكن الموقف لم يكن يحتمل تصرفه هذا أبداً.

فالانفجارات السابقة، والتوتر الذي ملأ النفوس، بسبب هزيمة نصف الجيش، أمام رجل واحد، وصرخات جنود (رودريجز)، كلها تضافرت لتلقي الرعب في قلوب الجميع..

والرعب يُذهب العقل.

ويزرع الحماقة.

كل الحماقة.

لذا، فقد حقق الجنود لجنرالهم ما طلبه تماماً.

لقد تخطوه، أو داسوه، وهم يقاتلون للفرار من المكان، وهو يصرخ:

- تراجعوا .. تراجعوا .. هذا أمر ..

ولكن ذعرهم كان أعنف وأقوى مما تصوَّر.

بل ومن كل ما يلقيه من أوامر.

وسقط الجنرال..

سقط تحت أقدام جنوده، الذين وطأته دون أدنى رحمة أو شفقة..

وصرخ الجنرال المكسيكي المسكين

وصرخ..

وصرخ..

ثم تلاشت صرخاته .

وتوقفت ..

فقد عبر الجنود أبواب القلعة ، وفروا منها .

على جثته ..

وبكل غضبه وثورته ، رفع (رودريجز) فوهة مدفعه الآلي ، في وجه (أدهم) صارخًا :

- أرأيت ما فعلته ؟! أرأيت الفوضى التي تصنعها ، في كل موقف تواجهه ؟!

ثم ارتفعت صرخته أكثر :

- هيا اذهب إلى الجحيم ، لتثير فيه كل فوضى الدنيا .

صرخت (جوليا) برعب هائل ، عندما ضغط زناد مدفعه ، ليطلق رصاصاته نحو (أدهم) مباشرة

وللحظة ، تصورت أن رصاصاته قد أصابت هدفها

ثم انتبهت فجأة إلى أن الهدف لم يعد في موضعه ..

لقد كانت عينا (أدهم) ترقبان سبابة (رودريجز) بمنتهى الدقة ، فلم تكد تتحرك ؛ لاعتصار زناد مدفعه الآلي ، حتى تحرك (أدهم) بسرعة خرافية

كان مصابًا في كتفه ، وساعده ، وعنقه ، وجبهته ، وعلى الرغم من هذا ، فقد وثب جانبًا متفاديًا رصاصات المدفع الآلي ، قبل أن يضرب قدمه بالجدار ، ثم يدور حول نفسه ، ليركل (رودريجز) في صدره بقوة ..

وصرخ (رودريجز) ، وهو يحاول إطلاق نيران مدفعه مرة أخرى :

- لن تفر .. لن تنجح هذه المرة أبدًا

قبضت أصابع (أدهم) الفولاذية على معصمه ، ولوته في قوة ، وهو يقول :

- ألم تنتبه إلى أنك كثير الحديث يا هذا ؟!

أطلق (رودريجز) صيحة ألم ، مع التواء معصمه ،

وسقوط المدفع الآلي من يده ، ولكنه أسرع يستل خنجره الحاد من حزامه ، ويضرب به (أدهم) صارخًا :

ـ ما رأيك بهذا الفعل ؟!

أصاب نصل الخنجر ذراع (أدهم) ، ومزق جزءًا منها ، فصرخت (سونيا) في ذعر ، مع الدماء التي تفجرت منها ، ولكن (أدهم) هوى على أنف (رودريجز) بلكمة كالقنبلة ، قائلًا :

ـ المهم أن يكتمل .

كانت ضربة تكفي لإسقاط ثور ، ولقد فجرت أنف المكسيكي بالفعل ، وانطلقت منه دماء غمرت صدره كله ، على الرغم من هذا فقد تشبث بـ (أدهم) في قوة ، وهو يصرخ :

ـ لن تفلت ... لن تفر من هنا ... لقد خسرت فرصتي في النجاة ، لأصنعن مصرعك هنا ... لن تفلت أبدًا .



[illegible]

لكمه (أدهم) لكمة أخرى فى فكه ، وهو يقول :

- هذا ما تستحقه أيها الوغد

ولكن (رودريجز) تشبث به أكثر ، وهو يصرخ :

- لا .. لن تفلت .

ثم انطلقت من حلقه ضحكة عالية مجنونة ، وهو يكمل :

- هذا أمر سنلقاه معًا ... سنلقى مصرعنا معًا ... الوقت لن يكفى للنجاة لأحدنا ... لن يكفى أبدًا

لكمه (أدهم) لكمة أكثر قوة ، صائحًا :

- خطأ أيها الوغد ... لقد تركت واحدة من سيارات (الجيب) صالحة للعمل .

انطلقت ضحكة (رودريجز) أكثر جنونًا ، على الرغم من الدماء ، التى تناثرت من أنفه المحطم ، وأسنانه المكسورة ، وهو يصرخ :

- كنت لك . إنى قد ضحيت بفرصة نجاتى الشخصية

أيها المصرى ... لقد أتلفت السيارة المتبقية ، قبل أن ألتحم بك هنا ... لقد خسرت أيها المصرى ... كلانا خسر معركته هذه المرة ... حتى لو جريت بأقصى سرعتك ، لن يمكنك الإفلات أبدًا ... القنبلة ستنفجر بعد عشرين ثانية .. عشرين ثانية فحسب .

قالها ، وراح يطلق ضحكات مجنونة ، جعلت قلب (جوليا) يرتجف بين ضلوعها ، على الرغم من أنها لم تفهم ما يحدث حولها ، ولكنها رأت (أدهم) يستجمع كل قوته ، ثم يهوى على عنق (رودريجز) بلكمة كالقنبلة .

وتقلصت كل ذرة من كيانها ، مع صوت الفرقعة المخيفة ، التى أعقبت هذا ، والتى قصمت بعدها عنق (رودريجز) عن آخرها ، قبل أن يميل عنقه على جسده بزاوية عجيبة مخيفة ..

وعلى الرغم من مصرعه ، ظلت أصابعه متشبثة بسترة (أدهم) فى قوة

ودون أن يضيع (أدهم) ثانية واحدة، انتزع سترته، وألقاها مع جثة المكسيكي بعيدًا، ثم استدار إلى (مونيا)، وحملها بذراعيه في حركة مباغتة، جعلتها تصرخ:

- ماذا هناك ؟!

صاح بها، وهو ينطلق خارج المكان:

- هناك قنبلة، ستنسف كل شيء.

صرخت، بكل رعب الدنيا:

- قنبلة ؟! ومتى ستنفجر ؟!

انعقد حاجباه بشدة، وهو يجيبها، دون أن يتوقف عن العدو

- بعد عشر ثوانٍ.

وجلجلت صرختها في المكان كله هذه المرة، من فرط رعبها وانهيارها.

أما هو، فقد ظلَّ يعدو بأقصى سرعته، عبر ساحة القلعة، وعقله يستعيد عبارات (رودريجز) الأخيرة

« حتى لو جريت بأقصى سرعتك، لن يمكنك الإفلات أبدًا »

أبدًا

* * *

٩ـ الختـــام ..

امتلأ قلب المضيفة الروسية برعب هائل ، لم تشعر به في حياتها كلها من قبل ..

رعب جعلها تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

وكان الوقت يمضي بسرعة مخيفة

تسع ثوان تبقت ..

ثمان ..

سبع ..

وأدرك (أدهم) أن (رودريجـــز) كـــان علـــى حق

مهما بلغت سرعة عدوه ، لن يمكنه الإفلات من الانفجار ..

أبدًا ..

لابد من البحث عن وسيلة أخرى إذن

أية وسيلة ..

ودون أن يتوقف عن العدو ، وهو يحمل (هوليا) بين ذراعيه ، راحت عيناه تدوران في الساحة

ثم توقفتا بغتة ..

توقفتا عند الدبابة ..

وبسرعة قصوى ، اتجه نحوها ..

ست ثوان تبقت ..

خمس ..

أربع ..

وبقفزة ماهرة ، وعلى الرغم من حمله ، وثب

(أدهم) إلى سطح الدبابة ، ثم أنزل (جوليا) ، وهو يبلغ قمة برجها في سرعة ..

وصرخت (جوليا) :

- هل .. هل ستحتمل ؟!

حملها في سرعة ، وشهقت عندما ألقاها داخل الدبابة ، صائحًا :

- دروعها ستحتمل .

ثلاث ثوان تبقت ..

اثنتان ..

وقفز (أدهم) داخل الدبابة ..

ثانية واحدة ..

وأغلق كوتها في سرعة وإحكام ، و ....

ودوى الانفجار ..

انفجرت قنبلة (س - ٤) ، في جهاز الاتصال الخاص بـ (لورا كيلرمان) ..

ونسفت البرج الذي يحوى حجرتها نسفًا ..

ثم امتد الانفجار إلى بقية أبنية القلعة ..

وأبراجها ..

وأسوارها ..

وارتجت الدبابة العريقة في عنف ..

بمنتهى العنف ..

وتساقطت الأحجار عليها من كل صوب ،

والتهمت النيران دروعها الخارجية في قوة ..

وصرخت (جوليا) ..

وصرخت ..

وصرخت ..

لم تدر كم تواصل صوت تساقط الأحجار ، وارتطامها

بجسم النبابة ، ولاكم بلغت الحرارة داخلها ، قبل أن تتوقف تماماً عن الارتجاف ، وتنبعث داخلها أبخرة دافئة ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، توقفت صرختها ، وحدقت في وجه (أدهم) ، هاتفة :

ـ هل .. هل نجونا ؟!

كان العرق يغمر وجهه وجسده ، وهو يقول :

ـ هذا يتوقف على أمر واحد .

سألته في لهفة :

ـ وما هو ؟!

أدار عجلة كوة البرج ، وهو يجيب :

ـ كم الأحجار ، الذي تساقط فوقنا .

سقط قلبها بين قدميها ، عندما انقبضت عضلاته

كلها في قوة ، وهو يحاول إدارة العجلة ، وهتفت مذعورة :

ـ هل .. هل أصبحنا سجناء هنا .. في هذا القبر المعدني ؟!

تجاهل قولها تماماً ، وهو يدير العجلة بقوة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

ثم استجابت العجلة أخيراً ..

ودارت في قبضته ..

وانفتحت الكوة ..

وعندما بدت السماء من فوقها ، ابتسم هو في ارتياح ، ومسح العرق الغزير ، الذي يغمر وجهه ، قائلاً :

ـ نعم .. لقد نجونا .

صرخت (هولبا) بكل الفرح ، الذى تفجّر فى أعماقها ، ووثبت محاولة التعلق بعنقه ، ولكنه التقط وسطها بحركة سريعة ، ودفع جسدها إلى أعلى ، للتفادى النيران العريقة ، ثم لم يلبث أن لحق بها ، وأدار عينيه فيما حوله ، مغمغمًا :

ـ يا إلهى ! لقد نجونا بأعجوبة ..

وكان على حق فى قوله تمامًا ..

فمن حولهما ، كانت القلعة قد تحولت إلى كومة من الحطام والركام ، والنيران مازالت تشتعل فى بعض أجزائها ، هنا وهناك ، وعلى الرغم من هذا ، فقد كانت للسماء الصافية ، بالبدر المنير فى منتصفها ، وما يلقيه من ضوء فضى هادئ على كل شىء ، مخففًا طبيعيًا رائعًا لبشاعة الموقف ، فهتفت هى :

ـ هل تعتقد أن أحدًا سيأتى لنجدتنا ؟!

أوما برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ انفجار كهذا سيجذب حتمًا انتباه كل مخلوق حى ، على مسافة مائة كيلومتر على الأقل ، ولن يمضى وقت طويل ، حتى يكتظ المكان بممثلين لكل السلطات هنا .

قالت فى اهتمام :

ـ هذا يعنى أننا قد تجاوزنا المحنة .

غمغم :

ـ بالتأكيد .

مالت نحوه ، قائلة بابتسامة خجلى :

ـ ماذا عن اتفاقنا إذن ؟!

سألها فى حذر :

ـ أى اتفاق ؟!

منحته ابتسامة ساحرة ، وهى تقول :

ـ دعوة العشاء .

تطلَّع إلى وجهها الساحر الفاتن ، الذي جعلها تبدو ، تحت ضوء القمر ، أشبه بتمثال من المرمر لآلهة الجمال ، ولكن ذهنه تجاهل كل سحرها وفتنتها ، ورسم صدره للمرأة الوحيدة التي أحبها ، في حياته كلها ..

صورة (منى) ..

وبابتسامة هادئة ، هزّ رأسه ، وهو يقول :

ــ يا للنساء !

وعلى الرغم من أنه قد نطقها بالروسية هذه المرة ، إلا أنها لم تفهم ما يعنيه ..

لم تفهم أبدًا .